# الصاعديون وأثرهم السياسي والحضاري في نيسابور خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

د. بدربن ذعار الحربي
قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

# الصاعديون وأثرهم السياسي والحضاري في نيسابور خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

د. بدر بن ذعار الحربي

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ استلام البحث : ٢٠/ ٢/ ١٤٣٨هـ تاريخ قبول البحث: ١٥/ ٨ / ١٤٣٨هـ

## ملخص الدراسة :

يسلط هذا البحث الضوء على تاريخ ونشاط واحدة من البيوتات العلمية المرموقة في المشرق الإسلامي ممن كان لها دور بارز وفعال في الحياة العامة في خراسان، وهذه الأسرة هي أسرة آل صاعد التي اتخذت من نيسابور موطنا لها ومنهلاً نهل أبناؤها منه علومهم ومعارفهم على يد نخبة من ألمع وأجل علمائها، فكان أن اصبحوا ركنا أساسياً من أركان الحياة العلمية في نيسابور خاصة وخراسان عامة، ومحط أنظار طلاب العلم الذين قصدوهم من كل حدب وصوب، كما بلغو مقاماً رفيعاً أكسبهم ثقة سلاطين الغزنويين والسلاجقة واحترامهم، فندبوهم في سفارتهم إلى ملوك وأمراء الدول، وقلدوهم المناصب القضائية في الدولة، واستعانوا بهم من أجل تحصين المجتمع وتثقيفه وتوعيته والرد على الأفكار المنحرفة.

ولهذا يعد الصاعديون أسرة كبيرة القدر، توارث أبنائها العلم كابر عن كابر لمدة قرنين من الزمن، حيث ظهرت الأسرة بنيسابور في القرن الخامس الهجري، واستمرت في عطائها العلمي حتى نهاية القرن السادس الهجري.

واقتضت طبيعة البحث إلى أن يقسم إلى مقدمة وخمسة محاور وخاتمة، نتناول في المحور الاول: نسب الأسرة، وأبرز أعلامها، وعوامل نبوغها، وفي المحور الثاني نتحدث عن مشاركتها في الحياة السياسية، وبحث المحور الثالث دورها في إدارة شؤون الدولة، وخصص المحور الرابع عن أثرها في الحياة العلمية، وفي المحور الخامس والأخير عن دورها في الحياة الاجتماعية.

**الكلمات المفتاحية :** صاعد – نيسابور – الصاعديون – الغزنويين – السلاجقة.

**أصل الأسرة ونسبها:**

أن الباحث في أصل أي أسرة، وجذورها التاريخية، لابد له من معرفة أنسابها، حيث يعد النسب مطلباً جليلاً حضت الشريعة الإسلامية على معرفته، وقد يكون النسب إلى قبيلة، وهو الأصل، أو إلى بلد، أو إلى رجل، أو حرفة، أو نحو ذلك.

والأسرة التي نحن بصدد دراستها تعود في نسبها إلى رجل هو أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأستوائي النيسابوري الحنفي،[1] لذلك غلب اسم صاعد على بقية أفراد الأسرة، واصبحت تسمى بأسرة الصاعدي، أو الصاعدية، أو الصاعديين.

ففي ترجمة عدد من أبناء الأسرة يرد اسم (الصاعدي)، فمثلاً في ترجمة يحيى بن محمد بن صاعد (ت٤٦٠هـ) يكنى بأبي سعد الصاعدي،[2]

---

(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٩/ ١١؛ ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن محمد القرشي (ت٧٧٥هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي، مير محمد كتب خانه، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، ١/١٤٢؛ التقي الغزي: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي(ت ١٠١٠هـ): الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، الرياض، دار الرفاعي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٦٩.

(٢) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ٢١٥. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الشهرة التي عرفت بها هذه الأسرة (آل صاعد) لم تقتصر عليها، فهناك أسر أخرى تحمل نفس الاسم، مثل أسرة أبي العلاء صاعد بن سيار بن يحيى الهروي (ت٤٩٥هـ) وأبنائه وأحفاده، والتي ظهرت في هراة (ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ١٧/ ٢٤٠) وأسرة أبي عبد الله محمد بن الفضل

كذلك الحسين بن الحسن بن إسماعيل (ت٥١١هـ) يلقب بأبي الفضل الصاعدي،[١] وغيرهم.

كما يسمى بعض المؤرخين الأسرة بـ (بيت الصاعدية)، فيقول التقي الغزي: "بيت الصاعدية بيت علم وفضل، ورياسة"،[٢] وفي موضع آخر يقول: "بيت الصاعدية المشهور"،[٣] ويشير ابن أبي الوفاء القرشي إلى الأسرة قائلا: "الصاعدية بيت كبير"،[٤] كما توصف الأسرة بالدوحة الصاعدية.[٥]

---

الصاعدي الفراوي (ت٥٣٠هـ) والذي من ذريته برز عدد من الأعلام (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٤١/ ٢٧١) وأسرة صاعد بن عبيد الله الحسكاني بيت من بيوت العلم والوعظ والحديث (ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٠) وأسرة أبي العلاء صاعد بن عبد الله بن حنة في أصبهان (السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي(ت٥٦٢هـ): التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ١/ ٣٣٣) ولكن الأسرة محل البحث كانت أشهر هذه الأسر.

(١) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ١/ ٢٣٠.

(٢) الطبقات السنية، ص ٢٢٢.

(٣) الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٤) الجواهر المضية، ٢/ ٣٢٣.

(٥) الصريفيني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الحنبلي (ت٦٤١هـ): المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، بيروت، دار الفكر ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٤٨٠ ؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢ .

كـذلك يـرد في نـسب الأسـرة (الأسـتوائي)، و(النيـسابوري)، والأستوائي،[1] نسبة إلى أستواء، وهي ناحية من نواحي نيسابور، واسم مدينتها خوجان، وهذه المدينة ليست بالكبيرة، وسائر مدنها عامرة، وأكثرها قرى، وتشمل على ثلاث وتسعين قرية، وحدودها متصلة بحدود نسا،[2] ولهذا فالأسرة تعود في جذورها التاريخية لهذه الناحية.

وقد ارتبطت نسبة الأستوائي بالأسرة، فيقول ابن أبي الوفاء القرشي عن عميد الأسرة: "الأستوائي نسبة الإمام صاعد بن محمد"،[3] ويقول في موضع آخر: "ويعرف بالأستوائي وفى هذا الباب ذكره السمعاني، وكذا نسبه أبو إسحاق الشيرازي"،[4] ويقول بن الجوزي عنه: "أبو العلاء النيسابوري ثم الأستوائي".[5]

---

(١) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي(ت٥٦٢هـ): الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١/ ٢٠٧.

(٢) السمعاني: الأنساب، ١/ ٢٠٧؛ ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ١/ ٢٠٨. خوجان: قصبة كورة أستوا من نواحي نيسابور، وأهلها يسمونها خبوشان، بالشين، ينسب إليها جماعة وافرة من العلماء (ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٩٩) تقع الآن في شمالي شرق إيران (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org). ونسا: هي إحدى مدن خراسان بينها وبين نيسابور ستة أيام (معجم البلدان ٥/ ٢٨٢) وهي الآن بالقرب من عشق أباد عاصمة جمهورية تركمانستان ( الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(٣) الجواهر المضية، ٢/ ٢٨١.

(٤) الجواهر المضية، ١/ ٢٦١.

(٥) المنتظم، ١٥/ ٢٧٨.

وأما النيسابوري، فهي نسبة إلى نيسابور،[١] وهي مدينة تتبع إلى إقليم خراسان،[٢] حيث تقسم خراسان من الناحية الإدارية إلى أربعة أرباع، وينسب كل ربع إلى أهم مدنه الكبرى، وهذه الأرباع هي: نيسابور، ومرو،[٣] وهراة،[٤] وبلخ،[٥] ولكل ربع من هذه الأرباع عدد كبير من المدن والقرى، فكانت نيسابور مدينة عريقة عامرة تشغل مساحة قدرها

---

(١) واختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن الملك سابور مر بها فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابور، وقد ظهرت طلائع الحضارة فيها من عصر الإمبراطورية الساسانية، ثم فتح المسلمون نيسابور في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، على يد الأمير عبد الله بن عامر بن كريز في سنة ٣١ صلحا وبنى بها جامعاً (ياقوت: معجم البلدان، ٣٣١/٥) وهي مدينة في مقاطعة خراسان شمالي شرق إيران قرب العاصمة الإقليمية مشهد (الموسوعة الحرة http: //ar.wikipedia.org).

(٢) خراسان: فتحت عنوة أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه (ياقوت: معجم البلدان، ٣٥٠/٢) وتعد خراسان من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران في العصر العباسي، وهي الآن تتقاسمها إيران وأفغاستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org )

(٣) مرو: هي مدينة كبرى تقع في اقليم خراسان على نهر جيحون (ياقوت: معجم البلدان، ١١٢/٥) وتقع الآن في دولة تركستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(٤) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، خرج منها العديد من العلماء، وأهل الفضل، والثراء، وقد دخلها التتار في سنة ٦٨١هـ وخربوها ( ياقوت: معجم البلدان، ٣٩٦/٥) وتقع حاليا في غرب أفغانستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(٥) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، ومن أجمل مدنها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلة، وتحمل غلتها إلى جميع نواحي خراسان (ياقوت: معجم البلدان، ٤٧٩/١) وهي الآن مدينة في أفغانستان، ومن المدن التجارية المهمة (الموسوعة الحرة http: //ar.wikipedia.org).

فرسخ في مثله، ويتبع لها عدد من القرى والنواحي، منها: أستواء، وبيهق، وطوس، وبشت، ونسا وغيرها.[1]

وتعتبر نيسابور من أهم المراكز العلمية من بين مدن الإسلام، فقد كانت مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، مجمع العلماء وملتقى الفضلاء من أهل العلم والأدب دون منازع، ومن أبرز مظاهر الحركة العلمية فيها تلك الأعداد الكبيرة التي كانت تعج بها من نبلاء العلماء الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ والتراجم والطبقات.

أذن فالأسرة تعود في أصولها التاريخية إلى ناحية أستواء في نيسابور التابع لإقليم خراسان، ولكن قد يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: ماهي الأصول النسبية للأسرة ؟ وهل هم من العرب الصرحاء أم من العجم أم الموالي؟

من المؤسف أن المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بمعلومات عن ذلك، ولكن يبدو لي أن الأسرة تنحدر من أصول عربية، لأن الأسماء الواردة في سلسلة النسب أسماء عربية، ولايوجد فيها أسماء أعجمية، بالإضافة إلى

---

(١) ياقوت معجم البلدان ص٢٠٨. بيهق: وهي ناحية كبيرة بنيسابور ومن أعمالها، ومدينة واسعة كثيرة العمارة والسكان، وتشمل على عدد من القرى، وتقع بين نيسابور وقومس (البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ): فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص٤١١) وطوس: وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران، وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من قرية، وبها قبر علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد (ياقوت: معجم البلدان، ٤/٤٩) وهي الآن مدينة تاريخية بإيران وتسمى بمشهد الرضا (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

ذلك أن نيسابور من المدن التي استقرت فيها بعض القبائل العربية أيام الفتوحات الإسلامية، وأيضاً فإن خصوم الأسرة ممن كتب في مثالبها لم يشر إلى مطعن في نسبهم وأصلهم.

ولايعني هذا أننا نختلق للأسرة نسباً عربياً، وانما هو مجرد رأي للمبررات السابقة، لأن بعض المؤرخين يختلقون أنساباً شريفة لبعض الأسر العلمية، بقصد تعزيز مكانتها في المجتمع، والواقع أن هذا الأمر مجانب للحقيقة؛ لأنه يفترض في المؤرخين والباحثين أن يتصفوا بالصدق والأمانة والموضوعية، ولاينسبون أحداً لغير نسبه.

علي أية حال، فإن المعلومات التاريخية عن أصل أسرة آل صاعد ونسبها تظل قليلة، لا تكاد إلا أن تكون مقتطفات يسيرة ومتفرقة، فـ محمد بن أحمد بن عبدالله لايذكر عنه سوى أنه من أهل العلم،[1] ولعل ذلك يعزى إلى أن أجداد صاعد كانوا من الرجال المغمورين ممن لم يبرزوا في فقه ولا قضاء.

**أبرز أعلام الأسرة:**

لقد برز في الأسرة عدد من الأعلام والعلماء، ممن كان له دور بارز في المجتمع، وحظوا بمكانة سياسية وعلمية واجتماعية، وسوف نستعرض أبرز هؤلاء الأعلام.

(١) الصريفيني: المنتخب، ص٢٧٧.

وأول هؤلاء الأعلام هو عميدها، أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، ويعرف بـ (القاضي أبو العلاء الأستوائي)،[١] ولد بناحية أستوا يوم الأحد لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٤هـ،[٢] وكان عالماً فاضلاً صدوقاً، انتهت إليه رياسة أصحاب الرأي بخراسان،[٣] ويوصف بأنه ثقة فقيه، من أهل العلم والفضل والورع،[٤] ويلقب عماد الإسلام،[٥] ونال مكانة عالية عند سلاطين الغزنويين.

ويختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، فيذكر الخطيب البغدادي أنه مات سنة ٤٣١هـ، وقيل سنة ٤٣٢هـ،[٦] وقال الذهبي في "تاريخه": والأول أصح،[٧] وهذا مايذهب إليه بعض المؤرخين حيث يذكرون أنه توفي في ذي الحجة سنة ٤٣١هـ.[٨]

ولأبي العلاء ثلاثة من الأبناء، هم: إسماعيل، ومحمد، وعبدالله.

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ١٠/ ٤٧٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٣٦؛ نايف بن صلاح المنصوري: السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي، الرياض، دار العاصمة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٣٧١.

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ ابن قطلوبغا: أبو الفداء زين الدين قاسم السودوني (ت ٨٧٩هـ): تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان، دمشق، دار القلم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، ص ١٧١.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ١٥/ ٢٧٨؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣.

(٤) نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٠

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦

(٦) تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠.

(٧) تاريخ الإسلام، ٢٩/ ٣٤٣.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ١٥/ ٢٧٨؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣.

الابن الأول: إسماعيل بن صاعد، ويكنى بأبي الحسن، وهو أكبر أولاد أبيه سناً، وأبسطهم حشمة وجاهاً،[١] ولد سنة ٣٧٧هـ،[٢] وكان من الرجال الدهاة، دقيق النظر، كيس الطبع، عارفاً برسوم القضاء، وتربية الحشمة، كان قصير اليد عن الأموال، نقي الجانب، حظي بمنزلة عالية عند السلاجقة،[٣] توفي بأيذج في سابع شهر رجب من عام ٤٤٣هـ، ونقل تابوته إلى نيسابور.[٤]

وخلف أبو الحسن إسماعيل اثنين من الأبناء، هما: الحسن، ومنصور.

الابن الأول هو: الحسن بن إسماعيل بن صاعد،[٥] كنيته أبو علي الحنفي النيسابوري،[٦] يعد من فضلاء الرجال، يقول الصريفيني

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧. إيذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن هذه الكورة، وقال أبو سعد: إيذج في موضعين، أحدهما بلدة من كور الأهواز وبلاد الخوز، والثاني إيذج من قرى سمرقند (ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٨٨) وهي الآن مدينة إيرانية بالقرب من محافظة خوزستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(٥) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٩٠؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ٢٢٢.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٢/ ٦٨

عنه: "شيخ محترم"،[1] وكان له اهتمام بالعلم والرواية، توفي في جمادى الأولى من عام ٤٧٢هـ.[2]

وله من الأبناء اثنان، هما: علي، والحسين.

الأول: علي بن الحسن بن إسماعيل، ويكنى بأبي بكر، يعد من نبلاء الأعيان، وكان سليم الجانب، وتفقه على عدد من شيوخ عصره الكبار، توفي يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٠٨هـ.[3]

والثاني: الحسين بن الحسن بن إسماعيل، كنيته أبو الفضل، من اهل العلم والفضل، مات في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١١هـ، ودفن بمقبرة سكة القصارين،[4] ويخلط ابن فندق في ترجمته، فيذكر أنه توفي في سبزوار سنة ٥٠٨هـ،[5] والواقع أنها وفاة أخيه أبي بكر علي.

وترك أبو الفضل اثنين من الأبناء، وحفيداً واحداً، وهم: أبو العلاء صاعد بن الحسين بن الحسن الصاعدي، سمع من علماء عصره، وتوفي في

---

(١) المنتخب من كتاب السياق، ص ١٩٨

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٢/ ٦٨

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٣٢

(٤) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ١/ ٢٣٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٠٨؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ٢٤٥.

(٥) ابن فندق: أبو الحسن علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ): تاريخ بيهق، ترجمة: يوسف الهادي دمشق، دار اقرأ، ١٤٢٥هـ/٢٠١٥م، ص ٤٤٣. سبزوار: وتسمى سابزوار، وهي من نواحي بيهق من أعمال نيسابور (ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ١١٣) وهي الآن مدينة إيرانية في محافظة خراسان رضوي (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org ).

شعبان سنة ٥٣٢هـ.[١] وأبو علي الحسن بن الحسين، يلقب بعين القضاة، وله معرفة بالفقه وأصولها، ولايعرف تاريخ وفاته، وله ابن هو أبو الحسن إسماعيل بن الحسن، تولى القضاء، وهو أيضاً لاتسعفنا المصادر بتاريخ وفاته.[٢]

الابن الثاني لأبي الحسن إسماعيل هو: منصور بن إسماعيل بن صاعد، وكنيته أبو القاسم،[٣] وقد طلب العلم حتى صار من علماء عصره، يقول الصريفيني عنه: "كبير فاضل محتشم من الدوحة الصاعدية، سبق أهل بيته بالعلم والتدريس والفتوى والتذكير والخطابة"،[٤] توفي يوم الاثنين ربيع الأول سنة ٤٧٠هـ.[٥]

ولأبي القاسم منصور ابن واحد من اهل العلم، هو: صاعد بن منصور بن إسماعيل، يكنى بأبي العلاء النيسابوري، ويلقب بالخطيب،[٦]

---

(١) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ١/ ٣٣٢؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ٩/ ٩٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٠

(٢) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص٤٤٣

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٤) المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢. وقيل سنة ٤٩٠ه (الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤).

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢

وكان محبوبا، مقبولا، رضي الأخلاق،[1] ويعد من أعيان الفقهاء،[2] حتى أن إمام الحرمين أبو المعالي الجويني كان يثني عليه،[3] توفي في رمضان من عام ٥٠٦هـ.[4]

وأعقب صاعد بن منصور اثنان من الأبناء هما: إسماعيل بن صاعد، كنيته أبو الحسن،[5] وهو شيخ فاضل، سمع العلوم الشرعية وعلوم اللغة

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨/ ٥٩٤

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٤٠؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١٢/ ٢١٥؛ ابن الملقن: سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ): العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١١٣. الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، من أصحاب الشافعي. ولد في عام ٤١٩ه ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها، له مصنفات كثيرة، توفي عام ٤٧٨هـ (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٦٨؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٤/ ١٦٠).

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٦٢؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

من شيوخ عصره، وصار من كبار علماء الأسرة، وتوفي عام ٥٢٦هـ.[١] وأسعد بن صاعد، يكنى بأبي المعالي،[٢] ويلقب شرف الأئمة، ويعد من أبرز أقرانه في فصاحة اللسان والمناظرة،[٣] توفي يوم السبت سابع ذي القعدة من عام ٥٢٧هـ.[٤]

وترك أبو المعالي أسعد حفيداً من أهل العلم هو: عبد المعز بن محمد بن أحمد بن أسعد بن صاعد، كنيته أبو روح الصوفي، ويوصف بـ الشيخ المعمر، حافظ الدين، مسند العصر بخراسان، ولد في ذي القعدة سنة ٦٢٥هـ، ويذكر الضياء أنه قتلته الترك في ربيع الأول سنة ٦١٨هـ بهراة،[٥] وهو آخر من وجد له ذكر في الأثبات والفهارس من هذا البيت الجليل.

الابن الثاني لعميد الأسرة هو: محمد بن صاعد بن محمد، وكنيته أبو سعيد القاضي، يوصف بأنه نجل الأئمة وصدر الرياسة، وقد اتصل بشيوخ العلم حتى نال منزلة علمية عالية، ولد سنة ٣٨٠هـ، ومات سنة ٤٣٣هـ.[٦] وله من الأبناء الذين اشتغلوا بالعلم وروايته اثنان، هما:

---

(١) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٧٤

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣/ ١٥٢ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٤٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٦٩.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٤/ ٤٠٧.

(٦) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ٦١

يحيى بن محمد بن صاعد، يكنى بأبي سعد، ويوصف بأنه رجل كبير محتشم، ومن وجوه المشايخ والقضاة والمذكورين بالسيادة والرئاسة والقضاء،[1] ولد سنة ٤٠١هـ، وتوفي بالري في شهر ربيع الأول سنة ٤٦٠هـ.[2]

وأحمد بن محمد بن صاعد، كنيته أبو نصر الصاعدي، مولده سنة ٤١٠هـ، ويوصف بـــ شيخ الإسلام،[3] ورئيس نيسابور، وكان من العلماء البارزين في عصره،[4] مات ليلة الثلاثاء الثامن من شهر شعبان سنة ٤٨٢هـ، ودفن في مقبرة أسلافه.[5]

ولأبي نصر ابن واحد من أهل العلم هو: محمد بن أحمد بن محمد، يكنى بأبي سعيد النيسابوري الصاعدي، ولد سنة ٤٤٤هـ،[6] وكان خيراً

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣/ ٤٩٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ٢١٥؛ ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٣٢٣. الري: وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا (ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١١٦) وهي الآن بالقرب من طهران العاصمة الإيرانية (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org ).

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨/ ٣٣٣؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٦/ ٢٨٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٠٥؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٣٨.

(٦) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٨٠.

صالحاً،[1] ورئيس بلدته وقاضيها، وله دنيا واسعة ومنزلة عظيمة عند الخاصة والعامة،[2] وتوفي بنيسابور يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة ٥٢٧هـ،[3] وله ثلاث وثمانون سنة.[4]

وخلف أبو سعيد محمد اثنين من الأبناء هما: منصور والعزيز.

الأول: منصور بن محمد بن أحمد، كنيته أبو القاسم، ويعرف بالبرهان، ولد في جمادى الأولى من سنة ٤٧٥هـ،[5] ويعد من أئمة فقهاء

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٩

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٨٠

(٣) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٨٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢/ ٤٩.

(٤) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دمشق، دار بن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٦/ ١٣٦.

(٥) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي(ت٥٦٢هـ): المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٧٤٧. ويذكر ابن أبي الوفاء أنه ولد في جمادي الآخرة سنة ٤٧٥هـ (الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣)، ويختلف المورخون في ضبط سلسلة نسبه تقديماً وتاخيراً، فيخطى السيوطي في سلسلة نسبه فيذكر: منصور بن أحمد بن محمد بن صاعد (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٢/٣٠٢) وكذلك يخلط ابن أبي الوفاء فيقدم ويؤخر في اسمه ويقول: منصور بن محمد بن أحمد بن صاعد بن محمد بن أحمد بن عبد الله (الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣).

الحنفية،[1] وكان حميد السيرة، وقوراً، ساكناً، مهيباً، حسن الطريقة، مشتغلاً بالعبادة، وكان أكثر أوقاته معتكفاً في الجامع الكبير، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٢هـ، ودفن في مقبرتهم بسكة الحظيرة.[2]

ولم يعقب أبو القاسم سوى ابن واحد هو: علي بن منصور، يلقب شرف الدين، سمع وتفقه من غير واحد من علماء زمانه، وتوفي بالري في شهر رمضان من عام ٥٥٤هـ.[3]

والثاني: العزيز بن محمد بن أحمد، يكنى بأبي المفاخر الصاعدي، ولد سنة ٤٨١هـ، وتفقه على علماء اسرته وغيرهم من مشايخ عصره، توفي في صفر من عام ٥٥١هـ.[4]

أما الابن الثالث لعميد الأسرة أبي العلاء فهو: عبيد الله بن صاعد بن محمد، كنيته أبو محمد القاضي، وهو أصغر أولاد أبي العلاء، ولد سنة ٤٠٩هـ،[5] وكان صالحاً زاهداً عفيفاً،[6] ولازم الاشتغال بالعلم إلى أن توفي ليلة الأربعاء الخامس من شعبان سنة ٤٨٦هـ.[7]

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦

(٢) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٧٤٧؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٦٨.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ٥٧. ويترجم له ابن أبي الوفاء باسم عزيز (الجواهر المضية، ١/ ٣٤٧).

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٣٢٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ١٨٢؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٧٧

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ١٨٢

(٧) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٣٢٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ١٨٢؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٧٧.

وله ابن واحد هو: عبد الملك بن عبيد الله بن صاعد، يكنى بأبي الفتح، سمع من شيوخ عصره، ووصف بأنه فقيه فاضل مفتي مدرس، مات ليلة الأربعاء في سادس جمادى الآخرة سنة ٥٠١هـ.[١]

ولم يعقب عبدالملك، أو لم تذكر المصادر المتوفرة لدينا له سوى ابن واحد هو يحيى بن عبد الملك، كنيته أبو سعد، يصفه الصريفيني بأنه فاضل أصيل، من بيت الإمامة والقضاء،[٢] ويذكر المؤرخ ابن فندق أنه سمع منه، وقد أثنى عليه فقال: "كان في صورة إنسان"،[٣] ولكن لايعرف تاريخ وفاته.

وقد استمرت الأسرة بظهورها وعطائها العلمي حتى نهاية القرن السادس الهجري حيث بلغ عدد أفرادها حوالي (٢٣) شخصية من أهل العلم والفضل.

**عوامل نبوغ الأسرة:**

إن بروز الأسرة الصاعدية يدعونا للبحث عن العوامل الأساسية التي ساهمت في وصول هذه الأسرة إلى هذا المستوى الرفيع، وهذه المكانة المميزة، بحيث أصبحت موضع تقدير واحترام في عيون معاصيرها، ومن جاء بعدهم من مؤرخين وغيرهم، فخلدت أسماء أفراد الأسرة في

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٣٦٢؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٣٣١

(٢) المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣٥

(٣) تاريخ بيهق، ص٢٨، وانظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٧٦١.

التاريخ، وصارت من الأسر الشهيرة في نيسابور، ومن هذه العوامل ما يلي:

١- ظهور شخصيات علمية بارزة: حيث نبغ أفراد الأسرة في ميادين العلوم والمعارف، فورث خلفهم عن سلفهم حب العلم والسعي في طلبه، فصار سمة عظيمة من سماتهم، وعلامة بارزة في تاريخ حياتهم، ولاريب أنه عن طريق العلم يرتفع الإنسان إلى أعلى المراتب، وقد عرف البيت الصاعدي بالعلم لمدة تصل إلى قرنين من الزمن، لذا أثنى العلماء على أفراده ثناء كبيراً، وأطنبوا في المديح لأبنائه، ولا غرو فقد أخرج هذا البيت بضعة عشر علماً من أولي العلم والأدب، كان كل منهم أهلاً للثناء، ومحلاً للإطراء، فكثيراً ما يقول المؤرخون عندما يتحدثون عن أحد أفراد الأسرة: "وهو من بيت علم."[(١)]

ومن أبرز الشخصيات العلمية، الإمام أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) والملقب عماد الإسلام، والذي يعد أحد الأئمة الذين بهم يقتدى، وبسيرهم يهتدى، وقد برز على أقرانه بنيسابور علماً وورعاً ونبلاً، وشاع ذكره في الآفاق، فكان إمام المسلمين على الإطلاق،[(٢)] وصاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ)، وهو من أبرز علماء

(١) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١٨٢/٢

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٢؛ محمود بن عبد الفتاح النحال: إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ، الرياض، دار الميمان للنشر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٥٥٠.

عصره، حتى أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني كان يثني عليه،[1] وأحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ) الملقب بشيخ الإسلام، ورئيس نيسابور وعالمها وقاضيها، كان إمام وقته، ووحيد دهره علماً وزهداً وفضلاً ورياسة وعفة، وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي في زمانه،[2] وغيرهم من علماء الأسرة.

٢- الدور التربوي للأسرة: تؤدى الأسرة دوراً رئيساً في تربية أفرادها، فهي تمثل الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته، وتؤثر تأثيراً مباشراً على أفرادها، ولا يقتصر هذا التأثير على جانب دون الآخر، بل يشمل جميع جوانب التربية، لذلك يتوقف نجاح الأسرة في تحقيق دورها التربوي على المستوى الثقافي لها، ومدى اهتمامها بالعلم والتعليم.[3]

والأسرة الصاعدية من الأسر التي أولت الجانب التربوي اهتمامها، حتى ظهر ذلك جلياً على أفرادها، ومن صور ذلك أن أول شيوخ الابن الذين يتلقى عنهم السماع، ويتأدب بهم هو والده، أو أحد من أهل بيته، فقد سمع أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) من أبيه، وجده،[4]

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥؛ ابن الملقن: العقد المذهب، ص ١١٣

(٢) ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٢م، ٥/ ١٢٩.

(٣) عبد المعطي محمود: معالم تربية المحدثين في القرن الثالث الهجري، دار الآفاق، بغداد، ١٤٢٢هـ، ص١٨٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢

فكان ممن نشأ في الخير والصلاح كما يقول الصفدي،[1] كما أن عبد المعز بن محمد، قد اعتنى به جده لأمه، فسمع منه، وتأدب عليه.[2]

٣- البيئة التي نشأت فيها الأسرة: ونقصد بذلك مجتمع نيسابور العلمي والثقافي، حيث كانت نيسابور على مر القرون في تاريخها الإسلامي من أهم مراكز العلم من بين مدن خراسان، فقد صفها العلماء بأنها مدينة العلم، ومعاقل مشاهير علماء الإسلام، وتميزت عن غيرها من مدن خراسان بالنشاط العلمي والفكري والحضاري بفضل جهود العديد من حكامها، وعلمائها، وأعيانها، وفضلائها، وبرز فيها جيل من العلماء الذين نبغوا في عدد من العلوم.

ولهذا بلغت بيئة نيسابور من المجد العلمي، والازدهار الأدبي مبلغاً عظيماً حتى انتفع آل صاعد بهذه البيئة، أو على الأقل شاركت في تكوين شخصية الأسرة العلمية.

٤- مكانة الأسرة في المجتمع: لقد احتل بنو صاعد مكانة عظيمة في المشرق الإسلامي، حيث كان للعلماء الأسرة مكانة اجتماعية مرموقة عند العامة، فهم يمثلون جزءاً مهما في المجتمع الإسلامي، وهذه المكانة التي احتلها أفراد الأسرة كانت من زمن جدهم صاعد الذي كان أشهر أعيان نيسابور، وأبرز علمائها، ثم اكتسب أبناؤه وأحفاده مكانة لا تقل عن مكانته.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٩/ ١١.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٤/ ٤٠٧

ولهذا تعد الأسرة من الأسر العلمية الكبيرة في نيسابور، حيث توصف بـــ "بيت الفضل والعلم"،[١] و"أهل بيت علماء فضلاء"، [٢] كما اشتهرت الأسرة بالإضافة للعلم في القضاء، والإمامة، والخطابة، وغير ذلك.[٣]

٥- علاقتها بالسلاطين والوزراء: فقد ارتبط عدد من أفراد الأسرة بعلاقات ودية مع سلاطين الدولة الغزنوية، ثم سلاطين السلاجقة، حيث كانت لهم حظوة عند هؤلاء السلاطين، فكان أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) من الذين علا شأنهم في الدولة الغزنوية، فقد انتهت إليه رئاسة الحنفية بنيسابور في زمانه، وخدم الغزنويين خلال حكمهم ، وأحبه السلاطين، وحفظوا له سابقته في خدمتهم، فعين في مناصب قضائية، ثم عينه السلطان محمود مربياً وأستاذاً لابنه مسعود،[٤] كما كان أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) مقبولاً عند السلاطين الغزنويين ثم السلاجقة،[٥] كذلك استطاع أعلام الأسرة تكوين علاقات طيبة مع أصحاب النفوذ والسلطة من الأمراء والوزراء والقادة.

---

(١) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ١/ ٣٣٢.

(٢) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٩/ ١١؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٤٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٦٩.

(٤) البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت٤٧٠ه): تاريخ البيهقي، ترجمه للعربية: يحيى الخشاب، صادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢، ص ٢١٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨.

ولهذا كان التقرب من السلاطين وأصحاب النفوذ في الدولة من أهم وسائل النبوغ والظهور على مسرح الأحداث.

٦- الأعمال والمناصب: إن العمل مع السلطة يكسب صاحبه مكانة خاصة، بحيث يصبح من أصحاب المراتب، كما أنه يقربه من السلطان، وأصحاب النفوذ بالدولة،[١] وقد تولى معظم أفراد الأسرة القضاء منذ جدهم صاعد، حيث توارثوا القضاء حتى أصبحوا من الأسر القضائية الشهيرة في نيسابور، فإضافة لتقلدهم قضاء نيسابور، فقد تولى بعضهم القضاء في مناطق أخرى، كذلك توصل عدد منهم لأعلى منصب قضائي في المؤسسة القضائية، وهو منصب قاضي القضاة.

ولهذا فأنه عندما يترجم ابن أبي الوفاء لعميد الأسرة أبي العلاء يقول: "قاضي نيسابور وفقيهها، ودام القضاء بها في أولاده"،[٢] أيضاً يشار للبيت الصاعدي بـــ"بيت العلم والقضاء"،[٣] كذلك شارك أفراد الأسرة في المناصب الإدارية الأخرى، مثل الإمامة والخطابة والسفارة وغيرها.[٤]

---

(١) مينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ١٢٣– ٢٣٢هـ، الرياض، دار القلم والكتاب، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٧٧.

(٢) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣.

(٣) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ١٧٤.

وهكذا تضافرت عوامل متعددة، أدت إلى نبوغ آل صاعد، ولكن هذا النبوغ لم يحصل بين ليلة وضحاها، بل ظل في تدرج، وخلال سنوات عديدة، حتى وصلت الأسرة إلى ما وصلت إليه من شهرة ومنزلة اجتماعية مرموقة.

**أحوال الأسرة المادية:**

لقد كانت الأسرة تعيش احوال مادية ومعيشية جيدة من زمن جدهم صاعد، الذي حظي بمنزلة اجتماعية عالية عند السلاطين، وعمل في المؤسسة القضائية، وكان من أعيان نيسابور، كما يذكر ابن فندق أن جد الأسرة من جانب الأم، وهو الفقيه الرئيس أبو محمد المعلّى بن أحمد البيهقيّ، قد ورث عنه آل صاعد "الضياع والأملاك، وقد بقي منها بقية إلى الآن".(١)

كما أن بعض أبناء الأسرة وأحفادها كانوا على وضع مادي جيد، حيث نستشف من تراجمهم أنهم كانوا في حالة مادية جيدة، فمثلاً كان لأبي سعيد محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد (ت٥٢٧هـ) دنيا عريضة.(٢)

---

(١) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ٣٢٨. هو الفقيه الرئيس أبو محمد المعلّى بن أحمد البيهقيّ، هو جد القضاة الصّاعديّين بنيسابور من جانب الأم، وكان من مفاخر بيهق، ولد ونشأ في بيهق، وعنه ورث قضاة نيسابور الضياع والأملاك، وقد بقي منها بقية إلى الآن، تولى رئاسة نيسابور مدة من الزمن، وله آثار محمودة في ذلك الشغل الخطير، وألّف الأفاضل في مدائحه التصانيف، وكان للشيخ أبي منصور الثّعالبيّ معه مذاكرة وامتزاج ومؤانسة ومجالسة، وقد ذكره كثيراً في تصانيفه (ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ٣٢٨).

(٢) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ٢٢.

ولاشك أن الحالة الجيدة للأسرة كان بفضل العلم، والقرب من أصحاب النفوذ بالدولة، والعمل في مناصب الدولة، حيث أصبحوا يحصلون على المرتبات العالية نظير عملهم في المناصب الإدارية المهمة، بالإضافة إلى المكافآت والأعطيات التي تصلهم من السلاطين.

بالنسبة لمناصب الدولة الرسمية، وعلاقتها بالمستوى الاقتصادي الجيد للأسرة، فإننا لا ننكر تلك العلاقة؛ لأن منصب القضاء من المناصب المهمة في الدولة، التي يتميز شاغلها بمكانة اجتماعية مرموقة، هذا بالإضافة لحصوله على مرتبات مالية، وعادة ما تكون هذه المرتبات عالية حتى لا تضعف نفوسهم أمام المال.

وأما علاقة الثراء الاقتصادي بقربهم من السلاطين، فمن المعلوم أن الاتصال بالحكام غالباً ما يؤدي إلى تحسين المستوى المادي للشخص، من خلال الأموال التي يحصلون عليها منهم، ولكن لا يعني هذا أننا نتهم العلماء الذين اتصلوا بالحكام بالثراء، كما يقول بعض المؤرخين؛[1] لأن من يحصل منهم على أموال من الحكام كان يحصل عليها على شكل هدايا، ومكافآت، ومنح وأملاك، فكان الحكام هم الذين يعطونهم دون أن يسألوهم ذلك.

ولكن مع ذلك، فقد تعرضت الأسرة كغيرهم من أبناء المجتمع النيسابوري إلى ضايقات مادية، لأن خراسان عامة، ونيسابور خاصة، قد

(١) مثل: أحمد أمين: ظهر الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ٢/٢٣٠.

مرت عليه الكثير من الدول، والإمارات المتصارعة، ففي العصر الغزنوي كان هناك اضطرابات، وعدم الاستقرار من الناحية السياسية، ثم استمر هذا الوضع خلال العصر السلجوقي، حيث إن الحروب والنزعات بين سلاطين السلاجقة ترتب عليه الكثير من الويلات لسكن نيسابور، مما أدى إلى الخراب، وسفك الدماء والدمار.

ولهذا فإن الأسرة لم تستمر على وضع اقتصادي ثابت ومحدد خلال مدة الدراسة، وإنما تتفاوت الأوضاع الاقتصادية فيها بين فترة وأخرى، وذلك تبعاً لظروف الدولة الاقتصادية، لأن أبناء الأسرة جزء من المجتمع، يتأثرون بما يحدث فيه من تغيرات، سواء كانت سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو غير ذلك.

وهذا يدعونا لطرح السؤال التالي: والمكون من شقين: هل هناك علاقة بين الثراء الاقتصادي للأسرة، وتوليهم مناصب رسمية في الدولة ؟ وهل هناك علاقة بين الرخاء الاقتصادي للأسرة، وكونهم من حاشية السلاطين والمقربين لهم؟

**مشاركتهم في الحياة السياسية:**

لقد حظيت نيسابور بأهمية كبيرة لدى القوى السياسية المختلفة التي تعاقبت عليها مماجعلها أشهر بقاع خراسان،[1] وأهم القوى التي حكمت المدينة، وعاصرتها الأسرة الصاعدية دولتان لهما مكانة سياسية بارزة،

(١) وذلك منذ عهد الدولة الطاهرية (٢٠٥- ٢٥٩هـ)، ثم الدولة السامانية (٢٩٠-٣٨٤هـ).

وهما: الدولة الغزنوية (٣٨٤- ٤٢٩هـ)،[١] والدولة السلجوقية (٤٢٩- ٥٤٨هـ).[٢]

وقد شارك أعلام الأسرة مشاركة فاعلة في الحياة السياسية، حيث عاصروا مجموعة من سلاطين الغزنوين ثم السلاجقة، وكونوا علاقة متباينة مع هؤلاء السلاطين، بالإضافة لعلاقتهم مع خلفاء بنى العباس.

أما بالنسبة للخلافة العباسية، فيبدو أن أعلام الأسرة لم تكن لهم علاقة مباشرة بالخلافة، ولكنهم كانوا يكنون لها التقدير والاحترام، فقد وفد بعض أعيان الأسرة للخلافة، وقابلوا الخليفة العباسي، حيث

---

(١) الغزنويون: ينسبون إلى مدينة غزنة، ويرجع أصلهم إلى الأمير البتكين الذي أسس الدولة، ثم تولى أمر الغزنويين سبكتكين الذي ضم الهند ثم خلفه محمود الذي شمل حكمه اقليم خراسان، ولكن الدولة فقدت أجزاء من ممتلكاتها في عهد السلطان مسعود، وانحصرت دولتهم في غزنة، وبلاد الهند إلى عام ٥٨٢هـ (وللمزيد عن الغزنويين، انظر: محمد حسن العبادي: خراسان في العصر الغزنوي، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م)

(٢) السلاجقة: يرجعون في أصولهم إلى قبائل الغز التركية، وكانوا يسكنون سهول التركستان، ثم هاجروا إلى بلاد ماوراء النهر، وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى رئيسهم سلجوق بن تقاق الذي وحدهم تحت زعامته، وقد تأثر السلاجقة كثيراً بأصلهم القبلي، وكانوا يألفون حياة البداوة التي تميل إلى التنقل والترحال، وظلت أعراف القبيلة راسخة في نفوسهم حتى بعد قيام دولتهم (البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م): تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٧؛ وللمزيد من المعلومات عن السلاجقة وتاريخهم، انظر: أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ذات السلاسل، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

أسهمت وفادتهم في توثيق الصلات بين الخليفة والسلطان الغزنوي أو السلجوقي، موكدين أحقية بنى العباس في الخلافة.

وممن كان له اتصال بخلفاء بنى العباس عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) الذي حج سنة ٣٧٥هـ ثم ورد بغداد، وعوتب من دار الخلافة في أنه منع من اتخاذ صندوق في قبر هارون الرشيد في مشهد طوس، وصور للخليفة الطائع لله أن السبب في منع ذلك فتواه، وقبح صورة حاله، فاعتذر أبو العلاء عن ذلك، وقال: "كنت مفتياً فأفتيت بما وافق الشرع والمصلحة، رعاية أنه لو نصب الصندوق، فإنه يقلع منه لاستيلاء المتشيعة، ويصير ذلك سبب وقوع الفتنة والتعصب والاضطراب، ويؤدي ذلك إلى فساد المملكة"، فقتنع الخليفة بقوله ولم يعاقبه بل شكر على ذلك،[١] ثم في عام ٤٠٢هـ حج أبو العلاء صاعد، وفي طريق عودته دخل بغداد، وقابل الخليفة العباسي القادر بالله ، فحمله رسالة إلى السلطان محمود الغزنوي.[٢]

ويشير ابن أبي الوفاء القرشي إلى أن أبا نصر أحمد بن محمد (ت٤٨٢هـ) دخل على الخليفة العباسي المتوكل على الله، وهو يمدح الرفق، فأكثر في مدحه، فقال أبو نصر أبياتاً من الشعر جميلة، فكتبهما الخليفة بيده،[٣] ويبدو لي أن الأمر التبس عليه، لأن أبا نصر لم يعاصر

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٢؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥٠

(٢) العتبي: تاريخه، ٣١٣/٢؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص١٨٠

(٣) الجواهر المضية، ١/ ١٠٥ .

المتوكل، وإنما هي قصة يرويها أبو نصر عن عدد من الرواة، وقد أشار لهم الصريفيني.[1]

كما يذكر الذهبي في حوادث عام ٥٠٢هـ أن الخليفة العباسي المستظهر بالله تزوج بأخت السلطان محمد السلجوقي، وتولى عقد النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد،[2] ولعله يقصد أبا العلاء صاعد بن منصور (ت٥٠٦هـ)، أو أبا العلاء صاعد بن الحسين (ت٥٣٢هـ)، لأن عميد الأسرة أبا العلاء صاعد توفي عام ٤٣١هـ.

على أية حال، فإن علاقة أعلام الأسرة بخلفاء بنى العباس كانت تقتصر على الوفادات من قبل السلاطين الغزنويين، أو السلاجقة، لذلك حملت في غالبها العلاقات الرسمية.

أما دولة الغزنويين، والتي حكمت نيسابور، فقد عاصرها أعلام الأسرة، وارتبطوا بعلاقة جيدة مع سلاطينها، وأبرز هؤلاء الأعلام: أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) الذي علا شأنه في الدولة، وانتهت إليه رئاسة الحنفية بنيسابور في زمانه، وخدم السلاطين الغزنويين خلال حكمهم، فأحبوه وحفظوا له سابقته في خدمتهم، فعين قاضياً في نيسابور، ثم عينه السلطان محمود[3] مربياً وأستاذاً لابنيه مسعود ومحمد، وكان

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤.
(٣) هو أبو القاسم يمين الدولة محمود بن ناصر الدولة سبكتكين الغزنوي، استولى على الإمارة بعد حروب مع اخوته، وأرسل له الخليفة العباسي خلعة السلطنة، وسيطر على خراسان بعد انتصاره على السامانيين، وظل يفتتح البلدان حتى أصبح يسيطر على بلاد شاسعة، توفي عام ٤٢١هـ (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٩/ ٣٦٩).

يدعوه بالقمر النيسابوري، وسلم إليه إمرة الحجيج عام ٤٠٢هـ،[١] فلما بلغ أبو العلاء من علو المنزلة، والمكانة الرفيعة في الدولة، عمل حساده على السعي به لدى السلطان محمود، إذ اتهوه باعتناق مذهب الاعتزال الذي سبب له محنة خطيرة، ثم برئ مما نسب إليه، بل زادته تلك المحنة تقرباً وثقة لدى حكام غزنة.[٢]

وبعد وفاة السلطان محمود عام ٤٢١هـ تولى الحكم ابنه السلطان مسعود،[٣] فقام بزيارة نيسابور، والتقاء بأستاذه أبى العلاء صاعد، فوجد منه أبو العلاء كل ترحيب، إذ أكرمه وقربه إليه ورفع من منزلته، ثم أسند إليه قضاء نيسابور.[٤]

كما يذكر أنه لما دخل السلطان مسعود نيسابور كان يثني كثيراً على أبي العلاء، ويخصه دون بقية أعيان نيسابور، حيث يقول البيهقي: " لم يحتف بأحد احتفاءه بالقاضي صاعد"،[٥] ثم طلب منه أبو العلاء بعض الإصلاحات، ورفع الظلم عن الناس.[٦]

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص ٢١٣.

(٢) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨ .

(٣) هو مسعود بن محمود بن سبكتكين، وولي الحكم بعد وفاة أبيه عام ٤٢١هـ، واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند وغيرها، وعظم سلطانه، وفتح قلاعاً في الهند كانت ممتنعة على أبيه، ودخل السلاجقة خراسان، فقاتلهم وأجلاهم عنها، وعاد إلى غزنة. ثم قتل عام ٤٣٢هـ (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٩/ ٥٣٤؛ الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٢٠)

(٤) تاريخ البيهقي، ص٢٢٨ .

(٥) البيهقي: تاريخه، ص ٣٦.

(٦) حيث قال القاضي صاعد : " أجل لقد أبدى الأمير في هذه الجلسة الواحدة من الكرم والشهامة، مالم يبق معه لأحد أي كلام، وإن لي حاجة واحدة أعرضها إن

كذلك مما يدل على مكانة أبي العلاء السياسية أن أهل نيسابور لما سمعوا بوصل السلطان لمدينهم، جاؤوا إلى أبي العلاء، وقالوا إنهم يريدون إقامة مراسم الابتهاج للسلطان، ولكن رئيس نيسابور رفض بحجة أن ذلك لايتناسب ماعليه السلطان الآن من الحزن لمصابه الكبير في فقد أبيه، فذهب أبو العلاء إلى السلطان، والتمس منه الإذن في إقامة حفل، فأذن له، ثم أبلغ أبو العلاء الرئيس بما أذن له، وقال: " أرى أن تكون تلك الزينات والمهرجانات غاية في العظمة والأبهة".[١]

ولما عزم السلطان مسعود على مغادرة نيسابور إلى هراة أمر بالخلع السلطانية لأبي العلاء وأبنائه،[٢] بل إنه تكريماً له ولعائلته عين ابنه أبا الحسن إسماعيل (ت٤٤٣هـ) قاضياً على الري،[٣] كما نال حفيده أبو نصر أحمد بن محمد ( ت٤٨٢هـ) مكانة عالية عند السلطان مسعود، حتى قال الذهبي: "كان معظماً عند السلطان"،[٤] وصار رئيس نيسابور كما يذكر ابن الجوزي،[٥] ويقول الصريفيني: " ربي في حجر الإمامة ... حتى اضطرب الزمان، وانقرضت عن خراسان دولة محمود وأولاده".[٦]

---

أذن لي، فاليوم يوم سعد، والمجلس مجلس مبارك، فقال السلطان: ان كل مايقوله القاضي هو عين الرشد والصواب".( البيهقي: تاريخه، ص٣٨).

(١) البيهقي: تاريخه، ص٤٢

(٢) البيهقي: تاريخه، ص٤٧

(٣) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨ .

(٤) تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤.

(٥) المنتظم، ١٦/ ٢٨٤

(٦) المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨

كما استطاع الأسرة تكوين علاقة مع اصحاب النفوذ بالدولة الغزنوية، فقد ارتبط أعلام الأسرة بعلاقات وثيقة مع عائلة المكائلية[1] ذات النفوذ، والسلطة الواسعة في بلاد خراسان، وقد استفاد أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) من رعاية المكائليين عندما كان في عنفوان شبابه، ونشأ في ظل نعمتهم، فلما تعرض بعض أفراد هذه الأسرة لظلم وجور الوزير الغزنوي حسنك[2]، استطاع أبو العلاء خلال زيارة السلطان مسعود لنيسابور سنة ٤٢١هـ إعادة حق كل أفراد الأسرة، خاصة أبو الفضل عبيدالله بن أحمد،[3] وأبو إبراهيم نصر بن أحمد،[4] من حسنك،

(١) آل مكائيل: هي أسرة عريقة العهد بالمجد في نيسابور، حيث تعود أصولهم إلى ملوك الفرس القدماء (ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٢٨٣/٣)، وتذكر المصادر التاريخية أن لواء الرئاسة والسيادة والصدارة، والكرم كان معقوداً في نيسابور لهذه الأسرة، وكان بعض أفرادها أمراء، وخوطبوا بالشيوخ، وعرفوا بالشهامة وسمو النفس، ورعاية العلماء والأدباء، يقول السمعاني: " وفي هذا البيت شهرة، وفيه جماعة من الفضلاء والعلماء في كل فن" (الأنساب، ٤٣٣/٥)

(٢) حسنك: هو أحد وزراء السلطان محمود، وقد تولى الوزارة للسلطان محمود، ولما آلت إلى السلطان مسعود عزله، ثم قتله رجماً، بدعوى أنه قرمطي (البيهقي: تاريخه ص٦٣)

(٣) هو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال كان أوحد خراسان في ذلك العصر أدباً وفضلاً ونسباً، توفي عام ٤٣٦ه (الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ): فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ٢/ ٤٢٨؛ الزركلي: الأعلام، ٤/ ١٩١)

(٤) هو أبو إبراهيم نصر بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبدالله بن ميكال، كبير محتشم، ومن أهل الثروة والنعمة والمروءة والحشمة، توفي عام ٤٤٦هـ (الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٠٨)

وإنهاء خلافاتهما حول الإرث،[1] وهذا يوضح لنا جهود أبي العلاء في مساعدة هذه الأسرة، وتأثيره على تلميذه السلطان مسعود الذي كان يكن له كل الاحترام.

ويرى الدكتور عبدالرحمن السنيدي أن أعيان نيسابور خلال الحكم الغزنوي تعرضوا إلى بعض المظالم، مما أدى إلى استيائهم، حيث إن السياسة التي اتبعها الغزنويون مع أهل نيسابور، من نظم ومراسم لا تصب في صالح المدينة، كما أنهم همشوا المدينة، ولم يتخذوا منها مركزاً لدولتهم بالرغم من تاريخها العريق،[2] والواقع أن الأسرة الصاعدية، وهي أحد مكونات الأعيان في نيسابور، حظيت برعاية من الغزنويين، ولكن لعل بقية الأعيان تعرضوا لذلك، بدليل ان الأسرة المكائلية تعرضت للظلم والجور، مما دفع أبا العلاء صاعداً للشفاعة لهم عند السلطان محمود.

وقد ظلت نيسابور تحت الحكم الغزنوي حتى بداية القرن الخامس الهجري، حيث تعاظمت قوة السلاجقة، وحصلت مناوشات بينهم وبين الغزنويين، مما دفع السلاجقة يتحينون الفرصة للقضاء عليهم، ففي عام ٤٢٩هـ حصل قتال بين السلاجقة والغزنويين، ودخل السلطان السلجوقي طغرل بك[3] نيسابور، وجلس على عرش السلطان مسعود، وأعلن نفسه

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨ .

(٢) علاقات أعيان نيسابور بالسلاجقة في عهد السلطان طغرلبك، الرياض، مجلة الجمعية التاريخية، العدد الثالث، السنة الثانية ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ١٩٢.

(٣) هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق، أبو طالب، الملقب بركن الدين طغرلبك، أول ملوك الدولة السلجوقية، وهو الذي رد ملك بني العباس، وأزال ملك بني بويه من العراق وغيره، وخطب ابنة القائم بأمر الله، فزوجه بها، فمكثت معه ستة أشهر،

سلطاناً على السلاجقة، ثم في عام ٤٣١هـ دارت معركة دندانقان بين الطرفين، وانتهت بانتصار السلاجقة.[١]

وخلال فترة الصراعات السياسية والعسكرية حول نيسابور بين الغزنويين والسلاجقة، كان لأعلام الأسرة موقف من هذا الصراع، فقد استطاع عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد إقناع السلاجقة بعدم إباحة مدينة نيسابور، وتركها لسلب ونهب الجيش السلجوقي.

ويقدم البيهقي تفصيلات عن دور أبي العلاء في قضية تسليم نيسابور للسلاجقة،[٢] فعندما وصل الجيش السلجوقي للمدينة ذهب كبار رجال الدولة والأعيان والأشراف إلى بيت أبي العلاء لأخذ فتواه حول موضوع تسليم المدينة، بعد أن وجه القائد السلجوقي إبراهيم ينال[٣] الإنذار لأهل

---

وكان مريضاً، وتوفي بالري سنة ٤٥٥هـ (ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، د.ت، ٦٣/٥؛ الزركلي: الأعلام، ١٢٠/٧)

(١) علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة، القاهرة، مؤسسة اقرأ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦، ص ٣٧، ٣٥، ٥٠. وقد اتخذ السلاجقة من نيسابور قاعدة لدولتهم، ثم ما لبثوا ان جعلوا من الري عاصمة لدولتهم لتوسطها لأقاليم الدولة (عبد النعيم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ٤٠).

(٢) والواقع أن البيهقي يقدم تفصيلات جيدة عن ذلك، خاصة وأن البيهقي معاصر للحدث، حيث توفي عام ٤٧٠ه وكان كاتب ديوان الرسائل في الدولة الغزنوية.

(٣) هو إبراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك، له مشاركات سياسية متعددة، وفي آخر الأمر حارب أخاه، وانتصر عليه وضايقه، ثم التقاه بنواحي الري، فانهزم جمع إبراهيم، وأخذ أسيراً، وقتل عام ٤٥١ه (الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٠/ ١٦)

المدينة، ثم عقد أبو العلاء اجتماعاً مع الإمام الموفق البسطامي،[1] للوصول إلى أسلوب يرضي جميع الأطراف، وبعد دراسة جميع الاحتمالات، وأن حال المدينة لايسمح بالصمود، قرروا تسليم المدينة.[2]

ودخل القائد السلجوقي نيسابور، لكن أبا العلاء رفض استقباله، بينما تحمس البسطامي لدخوله واستقباله، ثم بعد ذلك قدم السلطان طغرلبك للمدينة، فحاول أعيان نيسابور إقناعه للخروج لاستقبال الحاكم الجديد، وتقديم فروض الطاعة والولاء له، إلا أنه أيضاً لم يخرج لاستقبال السلطان مع أعيان المدينة، حيث زاره فيما بعد، وقد أظهر السلطان طغرلبك لأبي العلاء الاحترام، فأخذه، وأجلسه على وسادة بجواره، واستمع إلى نصائحه التي تضمنت " اخش الله عز ذكره، واعدل بين الناس، واستمع للمظلومين والمساكين، ولا تتراك هذا الجيش يظلم، فان الظلم شؤم"، فلما انتهى من حديثه لاطفه السلطان ووعده خيراً على أن لايبخل أبو العلاء بنصائحه عليه.[3]

---

(١) هو الإمام الموفق أبو محمد هبة الله بن محمد بن الحسين البسطامي، شيخ الإسلام، ومن سلالة أئمة الإسلام واحد الأنام أصلاً وأدباً ونسباً وحسباً وحشمة، ورئيس الطائفة الشافعية لما له قديماً من بيت العلم والإمامة والرئاسة والسيادة، توفي عام٤٤٠ه (الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥١٩)

(٢) حيث قال القاضي صاعد في الاجتماع: " إن الأهالي لا يقوون على قتال الجيوش، إن لكم سلطاناً قوياً كمسعود، ولاشك أنه سيجيء بنفسه أو سيرسل قائداً من عنده؛ ليضبط الأمن في هذه الولاية إذا رأى الاحتفاظ بها" (البيهقي: تاريخه، ص ٦٠٣)

(٣) البيهقي: تاريخه، ٦٠٣.

ولكن السلاجقة عينوا الموفق البسطامي رئيساً للطائفة الدينية في خراسان، وبذلك فقد خسر أبو العلاء مكانته كقائد للأحناف في دولة السلاجقة في هذا الإقليم، وخاصة في نيسابور، كما أن السلطان أمر بتفويض الخطبة في نيسابور إلى أبي عثمان إسماعيل الصابوني، فتأثر أبو العلاء لإحلال أبي عثمان محله، وأبلغ السلطان أن تغيير القواعد المتبعة ليس بمستحب، فأجيب بأننا رأينا هذا ينبغي ألا يضيق به صدرك.[1]

ويظهر من الأحداث أن أبا العلاء لم يذهب في تأييد السلاجقة مثلما ذهب الموفق البسطامي وغيره، فلم يخرج لاستقبال إبراهيم ينال، ثم السلطان طغرلبك، ولهذا لاغرابة في أن يجرد من مهامه ومناصبه.

ولعل أبا العلاء كان حذر من هؤلاء السلاجقة، لأن لديه مخاوف من الجيش السلجوقي، ذلك أنهم أمام كتل قبلية هائجة قد لاتلتزم بأوامر القائد، مما يعرض أموال الناس وممتلكاتهم للنهب والسلب، واستباحة المدينة.

بل إنه كان يميل للغزنويين، فلما قدم السلطان مسعود قبيل معركة داندانقان جاء إليه مودعاً وناصحاً، وكان بعض أولاده في خدمة السلطان مسعود، ومع ذلك ظل السلطان طغرل بك يحترمه ويجله، وقد حثه على أن يأتي إليه لكي يزوده بنصائحه قائلاً: " إننا قوم جدد وغرباء، ولا دراية لنا بشريعة العرب، فلا يبخلن القاضي بنصائحه علي"،[2] ولكن لعل ذلك

(١) البيهقي: تاريخه، ص ٥١٧، ٦٠٣.
(٢) البيهقي: تاريخه، ص ٦٠٢، ٦٠٤.

كان محاولة من السلطان لإيجاد صلة قوية مع أعيان المدينة، وبث الطمأنينة في قلوب أهلها.

ثم بعيد قيام الدولة السلجوقية بوقت قليل توفي أبو العلاء، وتحسنت علاقة الأسرة بالسلاجقة، فقد تقربت السلطة من أبنائه وأحفاده، خلع السلطان طغرل بك على ولدي أبي العلاء،[١] فنال إسماعيل بن صاعد (ت٤٤٣هـ) مكانة مرموقة حتى أصبح من المشاهير الكبار بخراسان،[٢] وبعثه السلطان طغرل بك رسولاً إلى فارس.[٣]

كما صار لأبي نصر أحمد بن محمد بن صاعد (ت٤٨٢هـ) منزلة عالية عند سلاطين السلاجقة، فقد أصبح رئيس الرؤساء في بلده، ولكنه بعد مدة عزل عن منصبه،[٤] ولعل ذلك بسبب تعصبه لمذهبه الحنفي، مما أدى إلى فتنة مذهبية،[٥] وبالتالي توترت علاقته بالسلطان ألب أرسلان[٦]

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص ٦٧٤.

(٢) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٤) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨. ويقول الذهبي: "رئيس نيسابور وقاضيها، أجرى رئاسة بلده ورسومها على أحسن مجاريها"( تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤).

(٥) لم تنتهى هذه الفتنة إلا بمجيء نظام الملك إلى الوزارة، وسوف نشير لها عند الحديث عن مذهبهم.

(٦) هو أبو شجاع محمد إلب أرسلان بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق، من كبار سلاطين السلاجقة، تولى مقاليد الأمور بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٥هـ، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/ ٦٩؛

والوزير نظام الملك،[1] ولكن ما لبثت أن عادت العلاقة بينهما إلى سابق عهدها، فقد أوكل له مهمة السفارة إلى بلاد ما وراء النهر، ثم لما جاء السلطان ملك شاه[2] للحكم قربه منه، وقلده قضاء نيسابور، وأضيف إليه منصب قاضي القضاة على الإطلاق، وارتفت منزلته، وصار من أعيان نيسابور وعلمائها، واكتظت مجالسه العلمية، وأصبحت له دروس في الجامع القديم في نيسابور.[3]

كذلك حظي أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) بعلاقات جيدة مع السلاطين السلاجقة، حيث يوصف بأنه كان مقبولاً عند السلاطين،[4] خاصة السلطان سنجر الذي أرسله رسولاً إلى بغداد.[5]

---

البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٣٢/١٨)

(١) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ولد سنة ٤٠٨هـ اتصل بالسلطان ألب أرسلان، فاستوزره فأحسن التدبير، فلما مات خلفه ابنه ملك شاه، فصار الأمر كله لنظام الملك، فشجع العلم والعلماء، توفي سنة سنة٤٨٥هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٢٨/٢؛ الزركلي: الأعلام، ٢٠٢/٢).

(٢) هو ملكشاه بن إلب أرسلان السلجوقي، من أبرز سلاطين الدولة السلجوقية وأوسعهم شهرة، تولى الحكم بعد وفاة أبية سنة ٤٦٥هـ واستمر في الحكم حتى توفي سنة ٤٨٥هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٨٣/٥؛ البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥٠).

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢. سنجر: هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، كان من أعظم ملوك السلاجقة همة، وأكثرهم عطاء، تولى المملكة في سنة٤٩٠هـ نيابة عن أخيه بركياروق، ثم استقل بالسلطنة في سنة ٥١٢هـ

يضاف إلى ذلك أن أعلام الأسرة كانوا على صلة جيدة بالوزراء وأصحاب النفوذ بالدولة السلجوقية، ففي عام ٥٢٠هـ حضر الوزير محمود بن أبي توبة مناظرة علمية لأبي القاسم منصور بن محمد بن أحمد الصاعدي (ت٥٥٢هـ) بالجامع القديم،[١] بل امتدت العلاقات إلى المصاهرات بينهم، فقد صاهرت الأسرة بيت الوزير السلجوقي نظام الملك، حيث إن أحد أحفاد نظام الملك كانت أمهم بنت منصور بن محمد بن أحمد الصاعدي (ت٥٥٢هـ)،[٢] كما صاهرت الأسرة رئيس بيهق،[٣] ورئيس نيسابور،[٤] ولهذا يمكن القول إن المصاهرة عامل مهم يساعد على

---

وتوفي سنة ٥٥٢هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/٤٢٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٥/٢٨٦).

(١) السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٧٤٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ١٠٥. ابن أبي توبة: هو أبو القاسم محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبة المروزي، الوزير الكبير، وكان مناظرا فحلا فقيها مدققا، وحضر مجالس العلم، ثم ترقت حاله إلى الوزارة وهو مع النظر في الوزارة يناظر الخصوم، ثم عزل عن الوزارة، وانزوي مدة، ثم فوض إليه الاستيفاء مدة، والإشراف مدة، ثم قبض عليه وقتل عام ٥٣٠هـ (السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٧/ ٢٩٣)

(٢) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ١٨٨.

(٣) هو الرئيس جمال الرؤساء أبي علي الحسين بن المظفر، ولي رئاسة بيهق، وصاهر آل صاعد (ابن فندق: تاريخ بيهق، ص: ١٨٨)

(٤) هو الرئيس أبو الفضل أحمد بن محمد الفراتي، وولي رئاسة نيسابور مدة وصاهر بيت الصاعدية (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ١٢٢)

زيادة مكانة الأسرة عند أصحاب النفوذ، ويسهم في الحصول على الجاه والمال والمنصب.

ومما يلحظ مشاركة أعلام الأسرة في مجال السياسية الخارجية، فقد أوكل لهم السلاطين السلاجقة مهمة القيام بالوفادات الخارجية، حيث أسهموا في إدارة السياسة الخارجية، وعقدوا الوساطات لما يحظون به من مكانة اجتماعية.

ففي أيام السلطان طغرلبك بعث إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣هـ) رسولاً إلى فارس،[١] وأرسل أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ) رسولاً من السلاجقة إلى بلاد ما وراء النهر،[٢] وقدم أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) بغداد رسولاً من السلطان سنجر،[٣] ولكن المصادر المتوافرة لدينا لاتسعفنا في توضيح تفاصيل بعض لقاءات أعلام الأسرة بهؤلاء الأمراء والملوك ؟ مما يجعل الباحث يقف حائراً أمام بعض التساؤلات.

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١ ؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١ ؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢ .

**موقفهم من الحركات الفكرية الهدامة:**

لقد كان لعلماء الأسرة مواقف مشرفة في الوقوف بوجه الحركات الفكرية المنحرفة الفاسدة التي ظهرت في المجتمع الخراساني.

ومن أبرز هذه الحركات الفكرية جماعة يطلق عليهم الكرامية،[1] والتي نشرت أفكارهافطبيعة الرجل العطاء والانتشار، وهيمنت على الطبقات الدينية في نيسابور بقيادة أبي بكر محمد بن إسحاق، الذي أصبح من المقربين من السلطان الغزنوي، وقد استمر الكراميون في السلطة والهيمنة حتى عزل أبا العلاء صاعد بن محمد(ت٤٣١هـ) عن رئاسة مذهبه عام ٣٩٣هـ، ولم يتم تعيين أحد من قادة الكرامية في الوظائف الدينية كبديل لأبي العلاء، ولكنهم عينوا أبا بكر محمد الكرامي في منصب رئيس المدينة عام ٤٠٢هـ، وقد استغل هذا المنصب في اضطهاد خصومه.[2]

ولكن أبا العلاء فضح أصحاب هذه الحركة، ففي هذا العام ذهب أبو العلاء إلى مجلس السلطان الغزنوي، فورد ذكر الكرامية، فصارحه أبو العلاء ببعض آرائهم في الاعتزال، والتجسيم في الصفات، فغضب السلطان على هذه الطائفة، وعقد لرئيسهم محكمة في غزنة حضرها كبار

---

(١) ينتسبون إلى المتكلم أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني(ت ٣٥٥هـ)، وهم يعتقدون التجسيم و التشبيه في صفات الله تعالى (انظر: عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص: ٢١٥ و ما بعدها).

(٢) العتبي: تاريخ اليمني١/٢٧٤؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٦٦

الفقهاء وعلى رأسهم أبو العلاء، والقاضي أبو محمد الناصحي،[1] وفي أثناء المحاكمة تبادل كل من أبي العلاء، وأبي بكر الاتهام حول مذهب المعتزلة، ولكن الأمير نصر بن سبكتيكين[2]، وإلى خراسان الذي كان يحضر هذه الجلسة برأ أبو العلاء من هذه الادعاءات الباطلة، وأكد للجميع أن أبا العلاء مازال رائداً لمذهب الحنفي في نيسابور، بل في كل أنحاء خراسان، ولكن أبا بكر عندما وجد نفسه متورطاً أنكر جميع الادعاءات المنسوبة إليه، وبذلك أنقذ حياته من غضب السلطان إلا أن السلطان طرده من منصبه.[3]

والواقع أن الغزنويين قد أيدوا الحنفية والكرامية لكسب الدعم السياسي لحكمهم في مدن خراسان، وخاصة نيسابور التي كانت مركز التجمع الديني، والاضطرابات الطائفية في ذلك الوقت.

ثم في عام ٤٨٩هـ، وخلال الحكم السلجوقي تجددت الخلافات المذهبية، والتعصب لها بين أصحاب المذهب الحنفي والشافعي من جهة، وبين الكرامية من جهة أخرى، الأمر الذي أوصلهم إلى المنازعات

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي النيسابوري، ولي قاضي القضاة بخراسان، وهو شيخ الحنفية في عصره، ولي القضاء للسلطان محمود بن سبكتكين ببخارى، توفي عام ٤٤٧ه (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٦٦٠؛ الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٩)

(٢) هو نصر بن ناصر الدولة سبكتكين، الأمير أبو المظفر، وهو أخو السلطان محمود، قدم نيسابور والياً سنة ٣٩٠ه، وكان مشكور الولاية، وصحب الأئمة، وسمع من شيوخ عصره، وبني المدرسة السعيدية، ووقف عليها الأوقاف، وعاد إلى غزنة وبها توفي عام ٤١٢ه (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٩/ ٢١٣)

(٣) العتبي: تاريخ اليمني ٢/ ٣١٣؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص١٨٠

والمصادمات، فكان على رأس الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد(ت٥٢٧هـ)،[١] وعلى رأس الكرامية مقدمهم محمشاد،[٢] وحدثت فتنة كبيرة مدمرة، خربت فيها مدارس الكرامية، وقتل فيها خلق كثير من الكرامية وغيرهم.[٣]

أيضاً كان لعلماء الأسرة موقف من المعتزلة،[٤] من خلال تصنيف المصنفات، وكشفهم، والرد على أفكارهم، ومع ذلك فقد اتهم بعض علماء الأسرة بالاعتزال، حيث اتهم عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد بالاعتزال، والواقع أن هذا الاتهام بريء منه، وقد برأه السلطان الغزنوي منه، وزاد من تقديره واحترامه،[٥] كذلك اتهم منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ) بالاعتزال، ولكن الذهبي يرد على ذلك

---

(١) وتعاون الشافعية والحنفية على الكرامية، فكان على رأس الشافعية أبو القاسم بن إمام الحرمين الجويني.

(٢) لم أعثر على ترجمته في المصادر المتوافرة لدينا.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٣/٩. وهذه الفتنة أوجزها المؤرخ ابن الأثير، ولم يذكر تفاصيلها ولا أسبابها، وإن كان ظاهرها يشير إلى أنها حدثت بسبب الخلافات المذهبية، والتعصب لها.

(٤) المعتزلة: بدأ الفكر الاعتزالي يأخذ مكانه في البصرة على يد واصل بن عطاء الذي كان يحضر مجلس الحسن البصري، فلما ظهر الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة، طرده الحسن من مجلسه، فاعتزل واصل المجلس، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فقال الناس: إنهما اعتزلا قول السلف، ومن ذلك الحين سمي أتباعهما بالمعتزلة، ومن أهم معتقداتهم القول بخلق القرآن (للمزيد انظر: ناصرعبد الكريم العقل: الجهمية والمعتزلة، الرياض، دار الوطن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ١٢٧ وما بعدها).

(٥) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨.

قائلا: "كان سنياً سليماً من الاعتزال"،[1] كما يوصف بأنه سني المذهب حسن الطريقة، متعصب للسنة،[2] ولعل تعصبه للسنه هو مادفع خصومه لاتهامه بالاعتزال.

وأما الصوفية[3] التي انتشرت في المجتمع الإسلامي، فقد اختلفت مواقف علماء الأسرة منها، لأن التصوف حينما ظهر حمل معنى أخلاقياً جميلاً، فكان عبارة عن رياضة النفس، ومجاهدتها عن الأخلاق الرذيلة، وحملها على الأخلاق الجميلة من الزهد، والحلم، والصبر، ولهذا وصف بعضهم بالصوفي مثل أبي روح عبد المعز بن محمد الصاعدي، يقول الذهبي عنه: "كان أحد الصوفية بخانكاه شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري"،[4] كما تتلمذ عدد منهم على علماء الصوفية،[5] بينما وجد

---

(١) تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٣) الصوفية: فرقة تهدف في ظاهرها إلى تربية النفس، والسمو بها عن زخارف الدنيا، بغية الوصول بها إلى معرفة الله بالاستدلال، ولكن عن طريق الكشف والمشاهدة، وقد مرت بمراحل، وتطورات، ومفاهيم مختلفة، ورجالها المنسوبين إليها، كذلك تختلف أحوالهم، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق للخيرات، والسمة الغالبة على هذه الحركة أنها باب لبدع كثيرة (محمد العبدة وطارق عبدالحليم: الصوفية نشأتها وتطورها، الكويت، دار الأرقم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٣).

(٤) تاريخ الإسلام، ٤٤/ ٤٠٧. الأنصاري: هو عبد الله بن جابر بن عبد الله بن محمد بن علي، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، شيخ الإسلام، وانتهت إليه رئاسة الصوفية بهراة، توفي عام ٥٦١هـ (الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢٤٩)

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢.

من علماء الأسرة من كشف حقيقتهم، وفضح أمرهم، ورد عليهم مثل منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ).[١]

والواقع أن المواقف التي وقفتها الأسرة من أصحاب الحركات الفكرية يعكس لنا صورة مشرقة للدور الرائد الذي كان يضطلع به علماء الأسرة في الوقوف في طريق أصحاب الأهداف الهدامة، ومجادلة الخارجين على الدين، وقمع أهل البدع، وأصحاب المقالات السيئة.

**مشاركتهم في إدارة شؤون الدولة:**

شارك أعلام الأسرة في إدارة شؤون الدولة في عدد من الوظائف، سواء الدينية أو الإدارية، فكان لهم الأثر الفاعل في المجتمع النيسابوري، ومن أبرز الوظائف الدينية التي اشتغل بها أبناء الأسرة: القضاء، والإمامة، والفتوي، والخطابة، والوعظ، حتى قال ابن الجوزي عن البيت الصاعدي: "بيت العلم والقضاء والخطابة والتدريس والفتوى".[٢]

**القضاء:**

تعد خطة القضاء[٣] من الخطط الأساسية في الدولة الإسلامية لما يناط بها من مهام الفصل في الخصومات، والحكم بالشريعة، وتحقيق العدالة، لذلك كان ومازال لمتولي هذا المنصب مكانة عالية في المجتمع الإسلامي.

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٢) المنتظم، ١٧/ ٢٧٨. يقصد بالوظائف الدينية تلك الوظائف التي تغلب عليها الصفة الدينية، مثل القضاء، والحسبة، والنظر في المظالم، والوعظ، والفتيا، والخطابة، والإمامة، وغيرها، ويقصد بها الوظائف الادارية ذات الصبغة الإدارية البحتة، مثل الوزارة، والسفارة، والحجابة، وغيرها

(٣) القضاء في اللغة الحكم، والقاضي القاطع للأمور والحكم لها، واصطلاحاً أحكام الشي، وإمضاوه والفراغ منه، واستقضي فلان، أي جعل قاضياً يحكم بين الناس (ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ): لسان العرب، بيروت، دار

وقد استحوذت الأسرة على القضاء في نيسابور حوالي قرن ونصف من الزمن، حيث تقلد مجموعة كبيرة من أفرادها مناصب قضائية متعددة، حتى يقول ابن أبي الوفاء القرشي عن هذا البيت عندما يترجم لعميد الأسرة أبي العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ): " قاضي نيسابور وفقيهها، ودام القضاء بها في أولاده"،[١] كما توصف الأسرة بـــ: "بيت القضاء"،[٢] بل إنه مما يدل على مكانة الأسرة القضائية أن الصريفيني يشير في أكثر من موضع إلى" القضاة الصاعدية".[٣]

وتقلد القضاء غالب أبناء هذه الأسرة، أولهم عميد الأسرة: أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) ، ولي قضاء نيسابور[٤] خلال

---

صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ٥/٢٧٨) ويقوم القضاء على الشريعة الإسلامية، ويستمد أحكامه من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، قال تعالى {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} (سورة المائدة، اية ٤٤)، ويعد من أرفع الوظائف الدينية، وأعلاها قدراً وأجلها رتبة ( للمزيد فضلاً انظر: محمود محمد عرنوس: تاريخ القضاء في الإسلام، القاهرة، المطبعة المصرية الأهلية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)

(١) الجواهر المضية، ١/ ٢٦١ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨ ؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١ .

(٣) فيذكر أن إسماعيل بن أحمد القاضي الخواري، نائب القضاة الصاعدية بنيسابور، وقيس بن أصرم الشيباني من الفقهاء المختصين بالقضاة الصاعدية، ويوسف بن أبي علي السقلاطوني كان يخدم القضاة الصاعدية (المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٦٤، ٥٤١، ١٦١).

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨/ ٢٣ ؛ ابن قطلوبغا : تاج التراجم، ص ١٧١ ؛ الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٨٧

الحكم الغزنوي حيث قربه السلطان مسعود، وعينه قاضياً مدة، ثم صرف عنه،[1] ولايعرف متى عزل عن ذلك خاصة في ظل سكوت المصادر المتوافرة لدينا، ويظهر لي أنه عام ٣٩٣هـ، لأنه عزل في هذا العام عن رئاسة المذهب الحنفي،[2] فلعله عزل عن القضاء أيضاً.

ولما علم أبو بكر الخوارزمي[3] بعزل صاعد عن قضاء نيسابور كتب إليه هذين البيتين:

وإذا لم يكن من الصرف بد .... فليكن بالكبار لا بالصغار

وإذا كانت المحاسن بعد الـ .... صرف محروسة فليس بعار[4]

ثم في عام ٤٢١هـ زار السلطان مسعود نيسابور ، وعين أبا العلاء في قضاء نيسابور، فاستمر في منصبه حتى عام ٤٢٦هـ، حيث اعتذر عن المنصب،[5] ولعل ذلك بسبب عجزه، وكبر سنه.

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧١؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص٥٥١ .

(٢) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨.

(٣) هو أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، ثم البغدادي، المفتي، العلامة، شيخ الحنفية، وقد دعي إلى القضاء مراراً، فامتنع، تخرج به فقهاء بغداد، توفي في جمادى الأولى سنة ٤٠٣ه (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٤/ ١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٢٣٥)

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧١؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص٥٥١ .

(٥) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨.

والحقيقة أن ذلك مما يدل على مكانة القاضي والقضاء، حتى أن السلاطين ربطوا دائرة القضاء بهم، فكان أمر تنصيهم وعزلهم يصدر من هؤلاء السلاطين.

وتولى أبو الحسن إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣هـ) قضاء الري ونواحيها أولاً، ثم صار قاضي القضاة بها، ثم بعد ذلك ولي قضاء نيسابور، ونواحيها، والبلاد القريبة منها مثل طوس ونسا،[١] ويذكر الذهبي أنه عارف برسوم القضاء.[٢]

وتقلد أبو الفضل الحسين بن الحسن بن إسماعيل ( ت٥١١هـ) القضاء في نيسابور لمدة عشر سنوات، كما تولى القضاء في طريثيث،[٣] ويلقب بأبي الفضل القاضي ابن القاضي ابن القاضي.[٤]

ثم تولى ابنه القاضي صاعد بن الحسين (ت٥٣٢هـ) القضاء في نيسابور بالنيابة مدة، وبالأصالة أخرى، ثم خلفه من بعده أخوه القاضي أبو علي الحسن بن الحسين، الملقب بـ عين القضاة أربعة أشهر بنيسابور، ثم تقلد

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١ ؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١ ؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

(٢) تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦

(٣) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ٤٤٣ . طرثيث: ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور، وطريثيث قصبتها، وما زالت منبعاً للفضلاء، وموطناً للعلماء وأهل الدين والصلاح (ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٣)

(٤) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٠٨ ؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ٢٤٥

القاضي أبو الحسن إسماعيل بن الحسن بن صاعد، القضاء بالمحولات وطريثيث وأرباعها،[١]

كذلك ولى أبو سعد يحيى بن محمد بن صاعد (ت٤٦٠هـ) قضاء نيسابور، ثم قضاء الري ونواحيها، ثم صار قاضي القضاة،[٢] ويقول ابن أبي الوفاء: "كان من وجوه القضاة والرؤساء"،[٣] ويصفه الصريفيني بـ" قاضي القضاة بن القاضي بن القاضي".[٤]

وتقلد أبو نصر أحمد بن محمد بن صاعد (ت٤٨٢هـ) القضاء في نيسابور أيام السلطان ملك شاه ، ثم أضيف إليه منصب قاضي القضاة على الإطلاق.[٥] وتولى أبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢هـ) قضاء نيسابور،[٦] ويلقبه السيوطي بـ فخر القضاة،[٧] ويوصف بأنه من بيت العلم والقضاء، وكان حميد السيرة في ولايته للقضاء.[٨]

ويلاحظ أن غالب قضاة الأسرة تقلدوا القضاء في مدينتهم نيسابور، فإضافة لمن سبق فهناك: أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٢٧هـ)

---

(١) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ٤٤٣ .
(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١
(٣) الجواهر المضية، ٢/ ٢١٥
(٤) المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١
(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.
(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ١٠٥.
(٧) بغية الوعاة، ٢/ ٣٠٢
(٨) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣ .

الذي يقول السمعاني عنه: "كان يليق به القضاء لفضله وبيته وأبوته"،[1] أبو العلاء صاعد بن الحسين بن الحسن (ت٥٣٢هـ)،[2] وعلي بن منصور بن محمد (ت٥٥٤هـ)[3] وأبو المفاخر عزيز بن محمد الصاعدي،[4] وغير ذلك، ولكن مما يؤسف له أن المصادر المتوافرة لدينا لاتحدد الفترة الزمنية لتقلدهم القضاء.

وهناك بعض قضاة الأسرة لم تقتصر ولايتهم على القضاء في نيسابور، بل تقلدوا القضاء في مناطق اخرى، ومثال ذلك: إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣هـ) ولي قضاء الري ونواحيها،[5] وأبو سعد يحيى بن محمد بن صاعد (ت٤٦٠هـ) وولي قضاء الري،[6] وأبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ) ولي قضاة خوارزم.[7]

---

(١) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٣٧٧

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٩٩

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٦٨

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ٥٧؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٣٤٧

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٤٩٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية ٢/ ٢١٥؛ ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٣٢٣

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨/ ٥٩٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥. خوارزم: ناحية عظيمة على نهر جيحون، يتبع لها عدد من المدن وقاعدتها العظمى يقال لها الجرجانية (ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٩٥) وهي اليوم في غرب أوزبكستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

كذلك ناب بعض قضاة الأسرة عن عدد من القضاة، فقد تولى أبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ) القضاء مدة نيابة عن أبيه،[١] والقاضي صاعد بن الحسين (ت٥٣٢هـ) تقلد القضاء في نيسابور بالنيابة مدة،[٢] وأبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢هـ) ناب مرات عديدة عن قاضي القضاة أبي علي الحسن بن إسماعيل بن صاعد بقضاء نيسابور، ومرات بقضاء بيهق.[٣]

أيضاً تقلد عدد من قضاة الأسرة منصب"قاضي القضاة"، والذي يعد من أرفع المناصب القضائية، ويمثل أعلى رتبة ودرجة يصل إليها القاضي، فلا يتولاه إلا كبار علماء ذلك العصر، كما كان صاحب هذا المنصب من أبرز رجالات الدولة المقربين إلى الحكام ممن يستأنس بآرائهم في إدارة سياسة الدولة، ورعاية مصالح الناس.[٤]

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢.

(٢) ابن فندق: تاريخ بيهق، ص ٤٤٣

(٣) تاريخ بيهق، ص ٢١٧

(٤) ولم تقتصر مسؤولياته على إدارة مؤسسة القضاء والإشراف عليها، بل امتدت لتشمل الكثير من شؤون الدولة، ولقد اتخذ السلاطين الغزنويون وسلاطين السلاجقة قاضي قضاة لهم يقيم في حاضرة الدولة، وهو خلاف قاضي القضاة للخليفة العباسي ( لمزيد من الاطلاع على هذا المنصب، فضلاً انظر: عصام محمد شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

وممن تولى هذا المنصب من قضاة الأسرة، أبو سعد يحيى بن محمد بن صاعد (ت٤٦٠هـ)،[١] وأبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ)،[٢] وأبو علي الحسن بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٢هـ)،[٣] وأبو نصر أحمد بن محمد بن صاعد (ت٤٨٢هـ)،[٤] وأبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ)[٥]، وأبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٢٧هـ)،[٦] وأبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢هـ)،[٧] وغيرهم.

على أية حال، فأنه بعد الحديث عن قضاة الأسرة لابد يرد في أذهاننا هذا السؤال: ما هي الأسباب وراء اختيار رجال الأسرة للقضاء ؟ الحقيقة أن الأسباب كثيرة، وسوف نحاول أن نذكر بعضاً منها:

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٤٩٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية ٢/ ٢١٥؛ ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٣٢٣

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/١٨٢

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٩٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٢/ ٦٨

(٤) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٠٥؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٣٨

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٤٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦.

١- أن الإسلام منح جميع العناصر حرية المشاركة في مناصب الدولة، فانخرط الكثير في العمل في مهن الدولة الرسمية، وأفسحت المجال لهم ولغيرهم.

٢- توافر الاستعدادات الفطرية عند أغلب أبناء الأسرة من نباهة، وبعد نظر، وذكاء، وقدرة على إنزال الأحكام الشرعية على الوقائع الجارية.

٣- علاقتهم بالسلاطين الغزنويين ثم السلاجقة، حيت يتزامن تقلد عميد الأسرة أبو العلاء صاعد للقضاء بتعيين من السلطان محمود الغزنوي، لذلك لايمكن بأي حال إنكار فضل هؤلاء السلاطين عليهم، وتمكينهم من المناصب القضائية في نيسابور.

٤- أن المذهب الحنفي الذي يعتنقه الصاعديون كان أحد الأسباب في اختيارهم للقضاء، حيث تعصب الغزنويون للأصحاب هذا المذهب، كما أن السلاجقة كانوا على المذهب الحنفي.

- **الخطابة:**

تعد الخطابة ضرورة لكل أمة في سلمها وحربها، فهي أداة الدعوة إلى الرأي، والتوجيه إلى الخير، ووسيلة الدعاة من العلماء والمرشدين،[1]

(١) الخطابة: هي اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، ويسمى صاحبها خطيبا، والخطابة لها مدلولان: عام وخاص، العام يطلق على كل من يتحدث حديثا عاماً مدافعاً عن رأي، أو مفاخراً، أو ما سوى ذلك، والخاص هو ما له تعلق بالشعائر الإسلامية (الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٨٠).

والخطيب هو الذي يخطب بالناس، ويذكرهم في الجمع والأعياد ونحوهما،[1] ويتم تعيينه من الدولة، وقد يكون عمله مقتصراً على الخطابة، أو يكون مضافاً إلى القضاء، أو الوعظ، أو غير ذلك، ويوصف البيت الصاعدي بأنه بيت الخطابة،[2] وممن تقلدها من أبناء الأسرة صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ) الذي يلقب بـــ الخطيب،[3] ويصفه ابن الأثير بـــ (أبو العلاء الخطيب النيسابوري).[4]

كذلك تولى أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧ه) الخطابة في المسجد الكبير بنيسابور،[5] ووصف بخطيب جامع نيسابور،[6] ويقول ابن أبي الوفاء: " والخطابة اليوم في أولاده، وكان إليه التذكير والتدريس مع الخطابة.[7]

**الإمامة:**

يقصد بها إمامة المصلين بالمساجد والجوامع في الصلوات الخمس، وصلاة الجمع والأعياد،[8] ويعد المسجد الكبير، أو الجامع القديم من أهم

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/٤٣٥.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨.
(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/٢٦٢
(٤) الكامل في التاريخ، ٨/ ٥٩٤.
(٥) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٤٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٦٩.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢
(٧) الجواهر المضية، ١/ ١٤٢.
(٨) الإمامة: كلمة مشتقة من أم، أي تقدم وأصبح قدوة، ويراد بها هنا إمامة الصلاة (الرازي: مختار الصحاح، ص٢٦؛ وللمزيد انظر: حسن الباشا: الفنون

مساجد نيسابور، ويقع الجامع في وسط المدينة، ويتميز بضخامته، وحسن بنائه، ويشغل مساحة كبيرة، وهو من أبرز معالم المدينة،[١] وممن تولى الإمامة من علماء الأسرة في هذا المسجد: أبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ)،[٢] وأبو العلاء صاعد بن منصور (ت٥٠٦هـ)،[٣] وغيرهم من علماء الأسرة، ولهذا يصف الصريفيني الأسرة بأنها "بيت الإمامة".[٤]

**الفتيا:**

المفتي هو الذي يبين الحكم الشرعي للسائل عنه، وكانت تصدر الرخصة بالفتيا من علماء العصر البارزين، وقد كان المفتي يفتي وفق المذهب الفقهي الذي يعتنقه،[٥] وتوصف الأسرة بأنها بيت العلم

---

الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ١/ ٩٢).

(١) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ): تاريخ نيسابور، تحقيق: بهمن كريمي، طهران، كتابخانه ابن سيناء، ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م، ص٦٧؛ محمد الفاجالو: الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة ٢٩٠- ٥٤٨ه مكة المكرمة، جامعة أم القرى ١٤٣١ه/٢٠١٠م، ص٤٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٠٤

(٤) المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١.

(٥) الفتيا: من فتا أو استفتاء في مسألة فأفتاه، أي أبانه له، والاسم الفتيا والفتوى، وهي تبين المشكل من الأحكام، والفتيا علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم (ابن منظور: لسان العرب، ١٥/ ١٤٧؛ الرازي: مختار الصحاح، ص٢٠٦).

والفتوى،[1] وأشهر من مارس الفتيا من علماء الأسرة صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) الذي كان المعول على فتواه بنيسابور في زمانه،[2] وعندما اعترض الخليفة العباسي على أحد فتاويه قال: " كنت مفتياً، فأفتيت بما وافق الشرع"،[3] ومنصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ) حيث كانت إليه الفتوى في عصره على مذهب أبي حنيفة،[4] ويقول الذهبي: "كان إليه المرجع في مذهب أبي حنيفة.[5]

**الوعظ:**

تقوم وظيفة الواعظ[6] على إرشاد الناس، وتوجيههم بالقول إلى الخير، وعمل الصالحات، والفرق بينه وبين الخطيب، أن الخطيب له وقت محدد للوعظ، كخطبة العيدين والجمعة، بينما يكون عمل الواعظ في أي وقت، أو كلما دعت الحاجة إليه،[7] وقد اشتهر من علماء الأسرة وعاظ انقادت إليهم القلوب بوعظهم الذي تحدثت به المجالس والأماكن العامة، من أبرزهم: أبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦ه) كان

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ٣٢
(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص٢٧٧
(٤) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢
(٥) تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤
(٦) الوعظ والعظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، وهو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب (ابن منظور: لسان العرب، ٤٦٣/٦).
(٧) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ١٣٢/٣.

واعظاً بارزاً، وله لسان حلو في الوعظ،[1] وقد خلف أباه في الوعظ،[2] وأبو المعالي أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) الذي أوكلت اليه مهمة الوعظ في بلده.[3]

**التأديب:**

لقد درج الحكام والسلاطين على دعوة معلمين معينين لتدريس أبنائهم، وتأديبهم في قصورهم، بدلاً من إرسالهم إلى الكتاتيب، أو المدارس، ويسمى من يقوم بهذه المهمة بـ"المؤدب"، وكانوا يحظون بمرتبات عالية، ومنزلة كبيرة، ورعاية خاصة، ولم يكن يتولى هذه المهمة إلا كبار العلماء، وأفاضل الأدباء.[4]

وممن تولى مهنة التأديب من الأسرة: أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) الذي عينه السلطان محمود الغزنوي مؤدباً لابنيه مسعود ومحمد،[5] وأبو نصر أحمد بن محمد بن صاعد (ت٤٨٢هـ).[6]

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٠٤

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢.

(٤) للمزيد عن التأديب، فضلاً انظر: صلاح الحيدري: المؤدبون ومهنة التعليم في العصر العباسي، العراق، مجلة جامعة الموصل، العدد ٧، السنة ٤، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٧٥.

(٥) البيهقي: تاريخه، ص ٢١٣

(٦) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٠٥؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٣٨

بالإضافة إلى ذلك، فقد تولى أعلام الأسرة وظائف دينية أخرى، مثل رئاسة المذهب الحنفي بنيسابور، والتي تقلدها عدد من أعلام الأسرة، من أبرزهم: صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ)،[١] ومنصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ)،[٢] وأحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ)،[٣] وأبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢هـ).[٤]

أيضاً إمارة الحج،[٥] والتي حظيت بأهمية كبيرة، وتنافست عليها الشخصيات البارزة، وممن تقلدها من أعلام الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الصاعدي الذي سلم إليه السلطان محمود الغزنوي إمرة الحجيج عام ٤٠٢هـ.[٦]

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ١٢٩

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦

(٥) إمارة الحج: هذه الولاية على نوعين: أحدهما أن تكون على تسيير الحجيج، والثاني على إقامة الحج، فأما تسيير الحجيج، فهو ولاية سياسة، وزعامة وتدبير، ولها شروط معتبرة، وأما إن كانت الولاية على إقامة الحج، فهو فيها بمنزلة الإمام في إقامة الصلوات (للمزيد من التفاصيل، فضلاً انظر: أبو يعلى بن الفراء، محمد بن الحسين(ت ٤٥٨هـ): الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٢٢- ١٢٤).

(٦) البيهقي: تاريخه، ص ٢١٣.

وأما الوظائف الإدارية، فإن المصادر التي بين أيدينا لاتسعفنا بمعلومات عن مشاركتهم في هذه الوظائف مثل الوزارة، والنظارة، والحجابة، وغيرها، ولايعرف لهم سوى مشاركتهم في وظيفة الرئاسة والسفارة.

**رئاسة نيسابور:**

ويسمى بالرئيس، أو رئيس الرؤساء،[١] وهو منصب إداري أقل رتبة من الوالي، وممن تقلد رئاسة نيسابور من أبناء الأسرة: أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ) الذي صار رئيس نيسابور،[٢] حيث يقول الذهبي عنه: "رئيس نيسابور وقاضيها، أجرى رئاسة بلده ورسومها على أحسن مجاريها"،[٣] ويذكر الصريفيني أنه تولى منصب رئيس الرؤساء بنيسابور في بداية الدولة السلجوقية حوالي سنة ٤٣٠هـ إلى نيف و٤٤٠هـ[٤]

كما تقلد هذا المنصب محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد (ت٥٢٧هـ) قال السمعاني عنه: "كانت الرياسة قد انتهت إليه بنيسابور"،[٥] ويذكر ابن الجوزي أنه كان رئيس بلدته وقاضيها.[٦]

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٦/ ٢٨٤؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣، ٣/ ١٠١؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ٣٥١/٥.

(٣) تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤

(٤) المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.

(٥) التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤.

(٦) المنتظم، ١٧/ ٢٨٠.

**السفارة:**

السفارة مهمة خطيرة، لايحق لأي شخص ممارستها، ولايختار لها إلا من تتحقق فيه الكفاءة لها، والقدرة عليها، لأن من مهامها إدارة سياسة الدولة الخارجية، فكان هؤلاء السفراء هم الوسطاء، وهم من رسم سياسة الدولة إزاء الدول الأخرى.[١]

وقد أوكلت مهمة السفارة إلى عدد من أعلام الأسرة، من أبرزهم: إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣هـ) الذي بعث رسولاً في أيام الأمير طغرلبك إلى فارس،[٢] وأرسل أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ) رسولاً من السلاجقة إلى بلاد ما وراء النهر،[٣] وقدم أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) بغداد رسولاً من السلطان سنجر.[٤]

---

(١) السفير: هو الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سفراء، ومهنته السفارة، وفي حديث علي أنه قال لعثمان: إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم، أي جعلوني سفيراً، يقال سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح (ابن منظور: لسان العرب، ٤/ ٣٧٠؛ للاستزادة، فضلا، انظر: حسن محمد سفر: السفارات في النظام الإسلامي، الرياض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٩، السنة ٣، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م).

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦. فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان السيرحان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران، وقصبتها شيراز، وفي عهد عثمان رضى الله عنه فتحت كل مدن فارس (ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٢٦ – ٢٢٨) وتشمل الآن جمهورية إيران (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨. بلاد ماوراء النهر: يقصد بها بلاد ماوراء نهر جيحون (ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٤٥) تشمل أراضيها الآن أفغانستان والجزء الجنوبي من كازاخستان (الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢

وحظي أعلام الأسرة بالاحترام والإكرام والحفاوة، عندما يرسلون في المهمات الخارجية من قبل الدول، وهذا يؤكد مكانة العلماء عامة، ومكانتهم خاصة عند الملوك والأمراء، رغم الخلافات السياسية أحياناً، لذا لابد من الاعتراف بفضلهم، وشكر مساعيهم الرامية للمصلحة العامة.

مهما يكن من أمر، فإن الأسرة قامت بجهود بارزة في إدارة شؤون الدولة، حيث شارك أغلب أفرادها في الوظائف الدينية، باستثناء بعض الشخصيات العلمية التي لم تفضل العمل في مهن الدولة، واقتصرت على طلب العلم ونشره.

أما الوظائف العسكرية، فلم يعمل فيها أحد من أبناء الأسرة، ولكن كان لهم مشاركات في الجوانب العسكرية، فقد استشار القائد الغزنوي سباشي سنة ٤٢٩هـ أبا العلاء صاعد بن محمد في بعض الأمور الدفاعية، والمواضيع الاستراتيجية للمدينة، لكي يدافع عنها من غارات السلاجقة،[١] كذلك ماقام به أبو العلاء من إقناع قادة السلاجقة بعدم إباحة مدينة نيسابور، وتركها لسلب والنهب الجيش السلجوقي.

ومما يسترعي الانتباه، أن بعض الوظائف الدينية والمناصب الإدارية في العصر الغزنوي والسلجوقي، كان يتوارثها الأبناء عن الآباء، ويكلف بها الأخ بعد أخيه، بحيث كانت أشبه ما تكون وقفاً على أبناء الأسرة الواحدة، حيث استحوذت الأسرة على القضاء فترة من الزمن.

---

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٧٨

والحقيقة أن توارث المناصب بالرغم من إيجابياته إلا أن له بعض الظواهر السلبية في تاريخ الأسر العلمية، لأن قيم العصبية الأسرية تسلسلت إلى عدد من المؤسسات الإدارية، حيث تسلم الأبناء والأحفاد هذه المؤسسات بعد وفاة آبائهم، دون أن يكون لبعض أولئك الأحفاد المؤهلات العلمية والدينية والأخلاقية، الأمر الذي أحال بعض المؤسسات إلى إقطاعات دينية، وعصبيات مذهبية، وأدى إلى الجمود، وتوقف الفاعلية.

**مشاركتهم في الحياة العلمية:**

لقد أسهمت أسرة آل صاعد في إثراء الحياة العلمية في نيسابور، حيث نبغ العديد من أبنائها في ميادين العلوم المختلفة، واستنارت البشرية بعلمهم ومؤلفاتهم، وقبل الحديث عن جهودهم العلمية سوف نحاول التعرف على مكانتها العلمية من خلال استعراض أقوال العلماء والمؤرخين فيهم.

فكان عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) من أبرز علماء عصره، يوصف بـــ الإمام عماد الإسلام، أحد الأئمة الذين بهم يقتدى، وبسيرهم يهتدى، برز على أقرانه بنيسابور علماً وورعاً ونبلاً، وشاع ذكره في الآفاق، وكان إمام المسلمين على

الإطلاق،[1] ويقول الخطيب البغدادي: " كان عالماً صادقاً، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بخراسان".[2]

وصار إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣هـ) من المشاهير الكبار في خراسان، وكان من دهاة الرجال، دقيق النظر، مزاحماً للصدور، متقدماً بما فيه من الرجولية، ومن الحشمة التي حازها عن أبيه.[3] وكان صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ) محبوباً، مقبولاً، رضي الأخلاق،[4] ونال منزلة علمية عالية، حتى أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني كان يثني عليه.[5]

ويعد أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢هـ) إمام وقته ووحيد دهره علما وزهدا وفضلا ورياسة وعفة، انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه،[6] ويقال له: شيخ الإسلام،[7] ويصفه الصريفيني

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥٠

(٢) تاريخ بغداد ت بشار، ١٠/ ٤٧٠. وانظر: ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥؛ ابن الملقن: العقد المذهب، ص ١١٣

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ١٢٩

(٧) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣/ ١٠١؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ٥/ ٣٥١

قائلاً: "الرئيس شيخ الإسلام، صدر المحافل، المقدم العزيز من وقت صباه في بيته وعشيرته، الفائق أقرانه بوفور حشمته، وكان من أوجه الأحفاد عند القاضي الإمام صاعد."[1]

كذلك محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد (ت٥٢٧هـ) كان فقيهاً نبيلاً ثقة،[2] وعرف بشيخ الإسلام قال السمعاني: "كانت الرياسة قد انتهت إليه، والتقدم والقضاء".[3] ويعد أبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٥٢هـ) من أئمة الفقهاء الحنفية،[4] وكان حميد السيرة، وقوراً، ساكناً، مهيباً، حسن الطريقة، مشتغلاً بالعبادة، لزم الجامع القديم بنيسابور، وكان أكثر أوقاته معتكفاً فيه،[5] يقول السيوطي: "شاب من وجوه الأكابر، وأعيان الصدور والسادة".[6]

---

(١) المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨. وانظر: ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٠٥؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٣٨ .

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٥١

(٣) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ٢٢ . . السمعاني: هو أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، مؤرخ، ورحالة، ومحدث، رحل إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، له عدد من المصنفات منها كتاب الأنساب، وتاريخ مرو، والذيل على تاريخ بغداد، وغيرها، توفي سنة ٥٦٢هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/٢٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٤٥٦؛ الزركلي: الأعلام، ٤/٥٥ )

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦

(٥) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣ .

(٦) بغية الوعاة، ٢/ ٣٠٢

على أية حال، فقد عكست الأسرة الوجه المشرق لمدينة نيسابور كونهم من جملة علمائها الذين أسهموا في إثراء التراث العربي والإسلامي بعصارة جهدهم، وفكرهم حتى غدوا من بيوتات العلم المشهورة فيه، وهذا ما دفع المؤرخين في أكثر من موضع في وصفهم بأنهم بيت علم.

**طلبهم للعلم :**

لقد كان للصاعديين أخبار كثيرة في الحرص على طلب العلم، والجد في تحصيله منذ الصغر، وتلقي العلوم من آبائهم، وعلماء عصرهم البارزين، والتنوع في طلب العلوم المختلفة، واقتناء المصنفات العلمية.

فقد سمع عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) من مشايخ عصره، وأكثر الرواية عنهم،[١] وتأدب على أبيه، ولازم أبي بكر الخوارزمي حتى برع في الأدب، ودرس الفقه على شيخ الإسلام أبي نصر بن سهل مدة، ثم جاء إلى القاضي أبي الهيثم عتبة بن خيثمة، ولازمه حتى تقدم في الفقه.[٢]

وهذا الاتجاه العلمي القوى لدى عميد الأسرة سرى في عدد من أبنائه وأحفاده، حيث ورث فيهم عقله وعلمه، فكانت تلك الشجرة المباركة التي أورقت، وألقت ثمارها العلمية عدة قرون، حيث اجتمعت لهم

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧ ؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص٣٧٢

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧ ؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١ ؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥٠ .

مؤثرات ثقافة الأسرة، وبيئة النشأة مع الجو العلمي في المجتمع المحيط بهم، وصلتهم بالعلماء، ليقوي ذلك الاتجاه العلمي، ويستمر في النماء والزيادة.

فكان من أبرز الحفاظ والعلماء في الأسرة منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ) الذي سمع على عدد من شيوخ عصره، وقرأ لنفسه الكثير، وحصل النسخ، وجمع الكثير، وكان حسن القراءة، عارفاً بالعربية وطرق الحديث، وسمع من المتأخرين أيضاً، وروى الكثير.[١]

وقد اعتنت الأسرة في تعليم أبنائها، حيث إن أول شيوخ الابن الذين يتلقى عنهم السماع هو والده، أو أحد من أهل بيته، فقد سمع صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦هـ) من أبيه وجده وأقاربه، وسمعه والده الكثير من الأصول والمسانيد والصحيحين والمتفق، وكان من المكثرين سماعاً المقلين رواية،[٢] يقول ابن الجوزي: " سمع الحديث الكثير، وأملى الحديث".[٣]

كذلك فإن إسماعيل بن صاعد بن منصور (ت٥٢٦هـ) قد اسمعه أبوه في الصبا من مشايخ عصره، كما سمع من جده القاضي منصور، وعمه، ومن عم أبيه،[٤] وسمع أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧هـ) من

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢.

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢.

(٣) المنتظم، ١٧/ ١٢٩.

(٤) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٦٢؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥٢؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

أبيه، وجده، وغيرهم، واشتغل بالعلم حتى فاق أقرانه،[١] ويقول الصفدي: "كان ممن نشأ في الخير والصلاح، وطلب العلم من صباه إلى أوان الكهولة".[٢]

وتفتحت مدارك أحمد بن محمد بن صاعد (ت٤٨٢هـ) على يد أسرته، فسمع الكثير عن جده صاعد وأبيه، وعمه إسماعيل،[٣] وغيرهم من علماء عصره،[٤] أيضاً سمع الحسين بن الحسن بن إسماعيل (ت٥١١هـ) من مشايخ عصره، ومن جده، وعمه، وبني أعمامه،[٥] كما سمع الحديث علماء زمانه، وذكره السمعاني في مشيخته،[٦] كذلك سمع محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٢٧هـ) الحديث الكثير من والده وعمه وشيوخ عصره، وعمر العمر الطويل.[٧]

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢

(٢) الوافي بالوفيات، ٩/ ١١

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٠٥؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص١٣٨

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢١٦

(٦) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٠٨؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ٢٤٥.

(٧) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٣٧٦

أيضاً من صور تحصيلهم العلمي منذ الصغر أن منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢هـ) سمع أباه وجده، وغيرهم،[١] ونشأ في العلم من صباه حتى تخرج في العربية، وبرع فيها، وسمع من مشايخ وقته وزاد على غيره في التعفف والورع والاحتياط.[٢]

ويلاحظ تنوع أبناء الأسر العلمية في طلب العلوم، حيث اتسمت تلك الفترة بالموسوعية في طلب العلوم، إلا أنهم ركزوا على العلوم الشرعية والعربية، أما العلوم العقلية ـــ علم الكلام والفلسفة ـــ، والعلوم التجريبية ـــ علم الطب والحيل والفلك والحساب ـــ ، فلم يطلبها أبناء الأسرة.

**رحلاتهم العلمية:**

الرحلة في طلب العلم هي سنة العلماء، فلاتجد عالماً مبرزاً، وإماماً حافظاً، إلا ونجده واسع الرحلة، كثير التنقل، وتعد من أهم وسائل التحصيل عند المسلمين،[٣] ولم ينته أثرها بعد تدوين العلوم الإسلامية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، بل اتسع نطاقها، وزادت العناية بها،

---

(١) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ١٠٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣.

(٢) السيوطي: بغية الوعاة، ٢/ ٣٠٢

(٣) وذلك "لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال" (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ): مقدمه ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٥٤١). وللمزيد عن أهمية الرحلة في طلب العلم وأثرها في حياة العلماء، فضلاً انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ٢/٢٢٣.

وقد تنوعت رحلات أبناء الأسرة في البلاد الإسلامية، فمن البلاد التي طلبوا العلم فيها: الحجاز، والعراق، وبلاد المشرق الإسلامي.

ولاشك أن أهم الأقطار التي رحلوا لها بلاد الحجاز (مكة والمدينة): فقد خرج إليها أبناء الأسرة لأداء فريضة الحج بمكة، وزيارة المسجد النبوي بالمدينة، وفي الوقت نفسه الاستزادة من علماء الحرمين الشريفين، ومثال ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١هـ) الذي حج أكثر من مرة، وسمع من علمائها،[١] وأبو الحسن إسماعيل بن صاعد (ت٤٤٣هـ) حج سنة ٤٠٢هـ، فسمع من علماء الحرمين،[٢] وغيرهما.

والواقع أن بلاد الحجاز كانت من أكثر الأماكن التي يقصدها طلبة العلم، ولهذا يمكن القول إن جل أبناء الأسرة إن لم يكن جميعهم ممن ارتحل إلى مكة؛ لأن مقدمهم لأداء فريضة الحج ماكان يمر دون سماع، أو طلب للعلم.

كما رحل أبناء الأسرة إلى العراق خاصة بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وممن سافر لها صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١هـ) الذي ورد العراق في حداثته حاجاً، فسمع بالكوفة من علي بن عبد الرحمن البكائي، وغيره من علمائها[٣]، وسافر منصور بن إسماعيل بن صاعد

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٢؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥٠

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧١

(ت٤٧٠هـ) إلى العراق، وسمع من شيوخ بغداد،[١] يقول الذهبي: وله رحلة إلى بغداد.[٢]

كذلك أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢ هـ) سمع ببغداد في الكهولة من القاضي أبي الطيب الطبري،[٣] وصاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦ هـ) أقام ببغداد مدة، فسمع من علمائها،[٤] وغيرهم.

ويظهر أن كثرة رحلة أبناء الأسرة إلى بغداد، يعود إلى كونها حاضرة الخلافة، وتموج بحركة ثقافية كبيرة، شملت جميع العلوم والمعارف، فصارت محط أنظار العلماء، وطلاب العلم، أيضاً بسب وجود كبار علماء الحنفية فيها، كما أن بغداد كانت في طريقهم عند ذهابهم للحجاز.

واما بلاد المشرق الإسلامي، فقد اكثرو من الرحلة اليها، بسب قربها منهم، فقد سمع صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١ هـ) من مشايخ بلاد ما وراء النهر، وأكثر عنهم الرواية.[٥] وسافر منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠) إلى بلاد ما وراء النهر، وسمع بهمذان والري،[٦] ويقول

---

(١) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٥/ ١٤٠

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٢

(٦) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢. همذان: تقع في اقليم الجبال وهي مدينة كبيرة منيعة أرضها خصبة لوفرة المياه وغلاتها وافرة (معجم

الذهبي: "وله رحلة إلى بغداد والري وما وراء النهر".[1] ورحل منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢ هـ) إلى مرو سنة ٥٢٠ هـ ، وسمع من شيوخها ثم سافر إلى ترمذ.[2]

وأما بلاد الشام ومصر والمغرب الإسلامي، فلم نعثر في المصادر المتوافرة لدينا على أن أحداً منهم رحل إليها، ولعل السبب في ذلك، يعود إلى أن أهل تلك البلاد كانوا على غير المذهب الحنفي.

مهما يكن من أمر، فإن رحلاتهم تظل قليلة، ولعل ذلك بسبب مكانة نيسابور العلمية، لأن أكثر الرحلة اليها، فقد كان يقصدها الكثير من رواد العلم وطلابه، لتلقي مشاهير علمائها الذين برزوا في شتى أنواع العلوم، ولانتشار عدد كبير من مراكز العلم فيها، حيث تعتبر نيسابور من أهم المراكز العلمية من بين مدن الإسلام ، بدليل تلك الأعداد الكبيرة التي كانت تعج بها من نبلاء العلماء الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ والتراجم والطبقات.

---

البلدان، ٥/ ٤١٠) واليوم هي مدينة إيرانية وعاصمة لمحافظة همدان(الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤

(٢) السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٧٤٦ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ١٠٥ . ترمذ : مدينة من أمهات مدن ما وراء النهر تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي في منطقة الصغانيان، وإليها ينسب الإمام الحافظ الترمذي صاحب السنن وغيره كثيرون (ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦) وتقع الآن في افغانستان(الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org).

**من مظاهر نشاطهم العلمي:**

عرفت الأسرة بقوة الجانب العلمي، وهو جانب أصيل مترسخ في تاريخ الأسرة، فكان لهم عدد من الأنشطة التعليمة تتمثل في الآتي:

- **جهودهم التعليمية (التدريس)**

كان لبني صاعد نشاط في ميدان التعليم، ولا غرو في ذلك، فقد كان أكثرهم من أهل العلم، والعلم والتعليم صنوان لا يفترقان، حيث كانت لهم جهود ملموسة في رواية العلم، ونشره بين الناس في نيسابور وغيرها من مدن خراسان.

فقد كانوا يعقدون المجالس العلمية في المدارس، والجوامع، ومجالس الحكام، ومنازل العلماء إلى جانب حلقات الإملاء والوعظ والتذكير، والتي أسهمت في إثراء الحركة العلمية في نيسابور،[1] وقد كانت مجالسهم العلمية على درجة عالية، حتى أن الصريفيني يشير إلى أن هناك من هو مختص لمجلس الصاعدية للمنادمة والخدمة.[2]

وحرص طلبة العلم عن الأخذ عن عميد الأسرة الإمام صاعد، فقد كان له مجلس علمي يحضره الحفاظ، وسمع منه الكبار، كما عقد مجلس الإملاء سنين،[3] ولم تقتصر مجالسه التعليمية على بلده، بل إنه قدم

---

(١) وتتميز هذه المجالس عن حلقات العلم أنها تقتصر على مواضع عميقة ومركزة، ويحضرها كبار العلماء، وعالية القوم.

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص٦٦

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٧٧؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٢. وقد ورد ذكر عميد الأسرة في مصنفات البيهقي باسم: القاضي أبو العلاء (محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥٠).

بغداد، وحدث بها،[1] روى عنه الخطيب البغدادي،[2] ثم بعد موت أبي العلاء جاءت سلالته من أبنائه وأحفاده لنشر العلم والفكر في أرض خراسان.

فعقد ابنه إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣ هـ) مجلس الإملاء بنيسابور سنة ٤٣٢ هـ عصر كل يوم خميس،[3] ويذكر ابن أبي الوفاء أنه يحضر مجلسه الصدور والمشايخ.[4] كما أن صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦ هـ) خلف أباه في التدريس والتذكير، وأملى الحديث،[5] ويصفه المؤرخون بـ المذكر المدرس.[6] كذلك اهتم أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧ هـ) بالتذكير والتدريس ببلده،[7] وحدث أيضاً ببغداد، وذكره السمعاني، في "ذيله"، وابن النجار، في " تاريخه ".[8]

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠؛ محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٥١.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٣٦

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٤١؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧.

(٤) الجواهر المضية، ١/ ١٥١.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ١٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥

(٦) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦/ ١٥٢

(٨) التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٦٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٤٢.

يضاف إلى ذلك جهود أبي روح عبدالمعز بن محمد الصاعدي في رواية العلم حتى أصبح علماً بارزاً يقصده طلبة العلم، حيث يقول الذهبي: "صارت الرحلة إليه من الأقطار، وحدث عنه جماعة في حياته بالبلاد النائية".[1]

أيضاً عقد أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢ هـ) مجلس الإملاء، عشيات الخميس في رمضان في الجامع القديم على طريقة أسلافه، وكان يحضر مجلسه كل أصحاب الفرق، وتتقرب إليه المشايخ والأئمة بالحضور،[2] ويذكر الذهبي أنه أملى الحديث، وروى عنه الشيوخ الكبار.[3]

كما كان لأبي سعيد محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٢٧ هـ) همة عالية في رواية العلم، فقد عمر العمر الطويل، حتى حدث بالكثير، وانتشرت رواياته،[4] كما حدث في العراق، فقد قدم بغداد سنة ٥٠٣ هـ ، وحدث بها، وسمع منه خلق كثير.[5]

وقام منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢ هـ) بجهود كبيرة في سبيل التحديث في بلده وغيرها، فقد سمع منه كبار العلماء، فيذكر السمعاني

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٤/ ٤٠٧

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨

(٣) تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤.

(٤) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤؛ السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٣٧٦.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٨٠ .

أنه كان يحرص على الأخذ منه، ولقيه مرات عديدة الأولى سنة ٥٢٠ هـ في مرو، والأخيرة في نيسابور سنة ٥٥٢ هـ.[١]

وشارك أبناء الأسرة في عقد مناظرات علمية، مثل المناظرة التي حصلت بين منصور بن محمد بن أحمد بن محمد (ت٥٥٢ هـ) وأبو سعد السمعاني، وحضرها الوزير محمود بن أبي توبة في الجامع القديم،[٢] كما اشتهر أسعد بن صاعد بن إسماعيل (ت٥٢٧ هـ) بالمناظرات العلمية حتى وصفه الصريفيني بـــ"إمام لسان الأصحاب في المناظرة"،[٣] وهذا ماجعل جهودهم العلمية والتعليمية تساعد في نهضة ثقافية شاملة في المشرق الإسلامي.

**نتاجهم العلمي:**

لقد كان لعلماء الأسرة جهود بارزة في ميدان التأليف، والإنتاج العلمي، ومن أبرز هذه المؤلفات: كتاب الاعتقاد لأبي العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١ هـ)،[٤] ومختصر صاعد أيضاً ألفه أبو العلاء،

---

(١) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨/ ١٠٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣.

(٢) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٣١٥؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٣.

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٧٤

(٤) حقق الكتاب سيد باغجوان بعنوان كتاب الاعتقاد: عقيدة مروية عن الإمام أبي حنيفة النعمان، ونشر الكتاب دار الكتب العلمية في بيروت عام ٢٠٠٥ه في ٢٦٤ صفحة.

وتحدث فيه عن المسائل الفقهية،[1] كما ترك أبو العلاء مؤلفات مشهورة ومفيدة في الحديث والفقه والعقيدة، ولكنها مفقودة حتى عناوينها.[2]

وكتاب الفوائد والأمالي لأبي سعد يحيى بن محمد بن صاعد (ت٤٦٠هـ)،[3] والأربعين في مناقب أبي حنيفة، وأحاديثه لأبي العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦ هـ) خرجها له صالح المؤذن،[4] كما أن لعلماء الأسرة عدداً من الأمالي تنسب إليهم، فيذكر الصريفيني أن إسماعيل بن أحمد الخواري، سمع في أمالي الصاعدية.[5]

وتجدر الإشارة إلى أن هناك كتاباً ألف عن الأسرة الصاعدية، وعنوانه: " عرائس النفائس في الأسرة الصاعدية"، من تأليف ابن فندق

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص ٢١٣.

(٢) الفاجالو: الحياة العلمية، ص ٤٠٦.

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٥٣١. الأمالي: هي جمع الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء والأمالي (حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الرومي(ت١٠٦٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ١/ ١٦١) وكتب الفوائد: "هي المصادر التي يختار أصحابها مطلباً من المطالب المذكورة في صفة الجامع يصنفون فيه فوائد حديثية، وتوجد فيها الأحاديث بأسانيد مؤلفيها (عبد الموجود بن محمد عبد اللطيف: كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، القاهرة، مكتبة الأزهر ١٤٠٤ هـ /١٩٩٤م، ص١٦٧).

(٤) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٢٨٠؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦٢

(٥) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١٦١

البيهقي، وهو في فضائل الصاعدية بنيسابور، ولم يقتصر فيه على تراجم أفراد هذه الأسرة، بل ضمنه بحوثاً أخرى.[1] ولكن الكتاب مفقود.

ولكن من المؤسف أن أغلب تلك المصنفات فيما فقد من تراثنا الإسلامي، ولعل من أسباب فقد مؤلفات الأسرة الكوارث الطبيعية، من غرق، وحرائق، وتلف، وغيرها، أو بسب مصادرتها، أو بيعها، أو سرقتها، بالإضافة للصراعات السياسية التي حصلت في نيسابور، ومايصحبها من نهب وسلب وتخريب.

**المدرسة الصاعدية:**

ومن أبرز الأنشطة العلمية لأبناء الأسرة، إنشاء مدرسة في نيسابور تعرف باسم المدرسة الصاعدية، وتعد من أهم مدارس الحنفية في المدينة، خاصة وأن مدارس نيسابور قد حظيت بدور الطليعة في الظهور والإنشاء قبل غيرها في الدولة الإسلامية، مما جعل الكثير من المؤرخين يؤكدون على أن أهل نيسابور هم أول من بنى مدرسة في الإسلام.[2]

---

(١) حيث يقول: " كتاب عرائس النفائس من تصنيفي" (ابن فندق: غرر الأمثال ودرر الأقوال، مخطوط في معهد لوكدونو باتافيا في هولندا، تحت الرقم ١٠٤٤؛ نقلاً عن محقق كتاب تاريخ بيهق لابن فندق، ص ٦٦)

(٢) المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ١٩٢/٤؛ محمد الفاجالو: الحياة العلمية في نيسابور، ص ٣٢٣. يرتبط في أذهان الكثير من الباحثين أن ظهور المدارس كان في القرن الخامس الهجري عندما أنشأ نظام الملك السلجوقي المدارس النظامية، والحقيقة أنها لم تكن الأولى التي أنشئت في ديار الإسلام، فقد أنشئت قبلها في المشرق الإسلامي مدارس أخرى، حيث يذكر الأستاذ ناجي معروف أن هناك مدارس عديدة أنشئت قبل النظامية بأكثر من

ومؤسس هذه المدرسة هو عميد الأسرة أبو العلاء صاعد بن محمد (ت٤٣١ هـ) ، ورغم عدم القدرة على تحديد سنة بنائها، إلا أنه يظهر لي أنه قبل عام ٤٠٢هـ، لأن أبا العلاء استخلف في هذا العام أبا القاسم الزيادي للتدريس فيها عندما عزم على الحج.

ومن أشهر مدرسيها: مؤسسها أبو العلاء، فقد كان من أنشط المدرسين في مدرسته، حيث كان يعقد مجالس الوعظ والتذكير والتدريس والإملاء فيها.[1] وأبو القاسم عبدالله بن محمد الزيادي، وهو من كبار علماء الفقه الحنفي في نيسابور، وقد درس فيها الفقه والحديث.[2]

كما درس فيها مجموعة من أبناء الأسرة، ومن أبرزهم: أبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠ هـ) ، وقد درس بالمدرسة

---

(١٦٥) سنة، مثل مدرسة حسان القرشي بنيسابور التي أنشئت عام ٣٤٩هـ، وهذا يعني أن النظاميات لم تكن أول المدارس نشأة في العالم الإسلامي، بل أول مؤسسات تربوية رسمية، تدخلت الدولة في اختيار أساتذتها وتنظيمها وتحديد أهدافها (مدارس ماقبل النظامية، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢٢، عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٠٣ ومابعدها)، ولهذا نقول إن المدارس النظامية تحمل الطابع المؤسسي المنظم المتكامل، بينما المدارس التي سبقتها في الظهور تحمل الطابع الفردي.

(١) السمعاني: الأنساب، ٢٠٧/١؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص٢٧٧.

(٢) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص٣٠٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢٨٨/١. الزيادي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عمر القاضي من وجوه العلماء والفقهاء الحنفية بنيسابور، استخلفه القاضي أبو العلاء صاعد التدريس فى مدرسته، واستفاد منه الطلبة، توفي في شعبان سنة ٤٠٣ه (الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٣٠٤؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٨٨)

سنين،[1] وأبو العلاء صاعد بن منصور (ت٥٠٦ هـ) حيث أقعد في المدرسة، ودرس بها، وكان من أبرز المدرسين فيها، وكذلك درس بها أبو الفتح عبدالملك بن عبدالله (ت٥١٠ هـ).[2]

ولعل المدرسة كانت تحتوى على مكتبة، وسكن للطلاب، ومسجد، ومقبرة كغيرها من المدارس التي ظهرت في نيسابور، فقد دفن أبو الفتح عبدالملك بن عبدالله (ت٥١٠ هـ) في مدرستهم،[3] وصلى الإمام أبو القاسم منصور بن صاعد في مدرسة جده كما يذكر الصريفيني،[4]

على أية حال، فقد أسهمت المدرسة في إنعاش الحركة العلمية في نيسابور، وتخرج منها نخبة من كبار العلماء الحنفيين.[5]

**موقفهم من المذاهب الفقهية:**

لقد ظهرت المذاهب الفقهية السنية الأربعة ( الحنفي، والحنبلي، والشافعي، والمالكي ) خلال المدة الزمنية بين مطلع القرن الثاني للهجرة، ومنتصف القرن الرابع الهجري بسبب اختلاف الفقهاء في آرائهم الفقهية.[6]

---

(٣) الصريفيني : المنتخب من كتاب السياق، ص٤٨٠ ؛ محمد الفاجالو: الحياة العلمية، ص ٣٤٧

(١) ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٣٣١ .

(٢) الصريفيني : المنتخب من كتاب السياق، ص٣٤٠ .

(٣) المنتخب من كتاب السياق، ص ١١١

(٤) ناجي معروف: مدارس ماقبل النظامية، ص٣٠ .

(٥) يضاف إلى ذلك عدد من المذاهب الفقهية الأخرى التي لم يقدر لها الاستقرار والذيوع أمام المذاهب الأربعة السابقة.

واستقر الحال بأهل السنة في نيسابور على التمذهب بالمذهب الحنفي والشافعي، يضاف إلى ذلك أن العصر الذى عاشت فيه الأسرة امتاز بغلبة الصراع المذهبي بين أهل السنة أنفسهم على اختلاف مذاهبهم، لاسيما في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وقام أبناء الأسرة بجهود بارزة في نشر مذهبهم الفقهي، وبرز منهم أعلام كبار يعدون من كبار علماء المذهب الحنفي، كما تولى عدد منهم رئاسة المذهب في نيسابور، فكان عميد الأسرة صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣١ هـ) يلقب بـ "الفقيه شيخ الحنفية ورئيسهم"،[١] ويذكر الخطيب البغدادي أنه قد انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بخراسان.[٢]

كما أن منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت٤٧٠هـ) قد انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره على مذهب أبي حنيفة،[٣] يقول الذهبي: إليه المرجع في مذهب أبي حنيفة.[٤] ويعد أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢ هـ) من أعيان الحنفية،[٥] وقد انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه.[٦] وأبو القاسم منصور بن محمد بن أحمد (ت٥٥٢ه) كان من أئمة الفقهاء الحنفية.[٧]

---

(١) محمود النحال: إتحاف المرتقي، ص ٥٤٩.

(٢) تاريخ بغداد، ١٠/ ٤٧٠ . وانظر: ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ٢٦١؛ نايف المنصوري: السلسبيل النقي، ص ٣٧٣

(٣) الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١/ ٣٣٩؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ٢/ ١٨٢

(٤) تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٣٤٤

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤ .

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ١٢٩

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٦

ولاشك أن رئاسة المذهب الحنفي، والذي ناله مجموعة من أبناء الأسرة جعلهم يحظون بمكانة عالية، وتوكل إليهم مهام جسام، كما أن رئيس المذهب الفقهي بحكم مايملكه من مميزات وخصائص، كان له نشاط سياسي واجتماعي، فلم يقتصر دوره على إعطاء الرأي الفقهي والفتوى.

ولكن مما يؤخذ على بعض أفراد الأسرة تعصبه لمذهبه، مثل أبي نصر أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (ت٤٨٢ هـ) الذي كان شديد التعصب لمذهبه الحنفي، وشجع عليه، فأدى عمله إلى اشتداد التعصب بين العلماء فيما بينهم، وبين الطوائف المذهبية فيما بينها أيضاً، حتى لعنت بعضها بعضاً على المنابر في عهد السلطان السلجوقي طغرلبك، ولم ينتهي ذلك إلا بمجيء نظام الملك إلى الوزارة، ثم لزم أبا نصر بيته مدة إلى عهد السلطان ملك شاه الذي قلده القضاء، ورفع من منزلته.[1]

ولا يخفى أن السلطة الحاكمة كان لها دور في بروز علماء الأحناف، وعلماء الأسرة أحد أهم مكونات المذهب الحنفي في نيسابور، وذلك لأن الدولة الغزنوية قد اتخذت من المذهب الحنفي في القضاء والفتاوي مذهباً رسمياً لها بالرغم من انشار المذهب الشافعي، ولهذا علا شأن القضاة الأحناف لدى السلاطين، خاصة الأسر الحنفية، وأبرزها الصاعدية والناصحية والتبانية.[2]

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٣/ ٧٤؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣/ ١٠١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/ ٣٥١.

(٢) العبادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص١٠١.

أما السلاطين السلاجقة فلم يتعصبوا لمذهبهم الحنفي، خاصة الأوائل منهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً للعلم والنظر، ولكن وزراءهم كانوا هم من يوجهونهم، لذلك اختلفت مواقف السلاجقة من مخالفيهم في داخل الدائرة السنية باختلاف اتجاهات وزرائهم، فالوزير عميد الملك الكندري[1] الذي وزر لطغرل بك كان حنفياً متعصباً، بينما كان الوزير نظام الملك الذي وزر لألب أرسلان وملك شاه شافعي المذهب.[2]

ولكن سلاطين السلاجقة بعد ملك شاه، لم يستطيعوا أن يخففوا تعصبهم للمذهب الحنفي، فمثلاً السلطان سنجر، أخرج من المناصب في جميع الأنحاء الخاضعة له كل من لم يكن من أصحاب أبي حنيفة، وأسندها إلى الأحناف، واختص بعنايته بأئمة الحنفية في خراسان.[3]

---

(١) الكندري: هو أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري، كان من رجال الدهر جوداً وسخاء وكتابة وشهامة، كان يتكلم الفارسية والعربية، استوزره السلطان طغرلبك السلجوقي، ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، وهو أول وزير للسلاجقة، كان شديد التعصب لأصحاب الإمام أبي حنيفة، ولما توفي طغرلبك خلفه ألب أرسلان فأقره على حاله، وزاد في إكرامه ورتبته، ولكنه مالبث أن عزله من الوزارة وحبسه، ثم قتل سنة ٤٥٦هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٣٨/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٣/١٨؛ الزركلي: الأعلام، ١١١/٧)

(٢) عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في الشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، جدة، عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص ١٠٨

(٣) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٠هـ): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تحقيق: إبراهيم أمين وغيره، دمشق، دار القلم،

وفي عام ٤٤٥ هـ تعرضت نيسابور إلى فتنة مذهبية، حيث تعرض الأشاعرة ـــ وهو مذهب يتمذهب به بعض علماء الشافعية ـــ[١] إلى اللعن على المنابر، حيث حمل الوزير الكندري مسؤولية إثارة القنته بمخاطبة السلطان في لعن الأشاعرة، مما دفع فقهاء وعلماء نيسابور للخروج من المدينة، ويقول السبكي إنه خرج من المدينة مايقارب أربعمائة قاض من الشافعية والحنفية بسبب هذه الفتنه،[٢] والحقيقة أن العدد مبالغ فيه، ولعل الخروج اقتصر على بعض قضاة الشافعية، وعدد قليل من الأحناف، لأن الأسرة الصاعدية الحنفية، قد تقلدت القضاء بعد هذه الفتنه، مثل القاضي أحمد بن محمد بن صاعد(ت٤٨٢ هـ)، وغيره.[٣]

على أية حال، فقد أدى الصراع المذهبي بين أبناء الأسرة وبين علماء المذاهب الأخرى إلى نتائج إيجابية، تتمثل في قيام المناظرات، وكثرة المصنفات الفقهية، حيث حاول كل عالم أن يدافع عن مذهبه بالحجة

---

١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م، ص ٥٧ ؛ عبدالمجيد أبو الفتوح: التاريخ السياسي والفكري، ص ١١٦

(١) الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهو من جملة علماء السلف الذين يثبتون الصفات، إلا أنه باشر علم الكلام، وأيد عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية، واستعمل التأويل، وتوفي سنة ٣٢٤هـ(٩٣٥م) (الشهرستاني: الملل والنحل، ٩٤/١) وقد ارتبط الأشاعرة بالشافعية، حتى أنه لم يكن من السهل التفريق بينهما، وذلك لأن أغلب من حمل لواءه خلال القرن الرابع الهجري من الشافعية، كما تأكد هذا الارتباط في القرن الخامس الهجري (عبدالمجيد أبو الفتوح: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ص١٠٨).

(٢) طبقات الشافعيه الكبرى، ١٧٧/٥

(٣) وغيره من علماء أسرة الناصحي (عبدالرحمن السنيدي: علاقات اعيان، ٢٣٢)

والـدليل، كمـا أن الـصراع والخـلاف لايـصل للعـداوة، بـل هـو خـلاف وتنـافس علمـي، بـدليل أن أبـا المعـالي الجـويني، وهـو مـن أبـرز علمـاء الشافعية، وشيخ الأشعرية في عصره، قد أثنى على أحد أبناء الأسرة، وهو صاعد بن منصور بن إسماعيل (ت٥٠٦ هـ).[١]

مهمـا يكـن مـن أمـر، فـلا يمكـن حجـب جهـود الأسـرة البـارزة في نـشر المذهب الحنفي من خلال الجوامع والمدارس والمجالس، وجعلـه يسود على غيرها من المذاهب، مما أدى إلى انتعاش الحركة الفقهية في نيسابور.

**علاقتهم بالأسر النيسابوريه:**

اسـتطاع الـصاعديون تكـوين علاقـة جيـدة بجميـع أطيـاف المجتمـع النيسابوري، فكـان لهـم العديـد مـن العلاقـات الحسنة مـع الأسـر العلميـة الأخرى في نيسابور، من خلال روابط العلم والصداقة وغيرها، ومـن أبـرز هذه الأسر: التبانية، والناصحية، والمكائلية، والبسطامية.[٢]

وقـد حظيـت أسـرة آل مكائيـل،[٣] بـالنفوذ والـسلطة الواسـعة في بـلاد خراسان، فهي أسرة تجمع بين العلم والسياسية، وقد تحدثنا آنفاً عن علاقة عميد الأسرة أبي العلاء صاعد بـن محمـد بهـذه الأسـرة، حيـث يقـول عنهـا

---

(١) ابـن الجـوزي: المنـتظم، ١٧/ ١٢٩؛ الـذهبي: تـاريخ الإسـلام، ٣٥/ ١٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٥؛ ابن الملقن: العقد المذهب، ص ١١٣

(٢) وهناك أسر نيسابورية اشتهرت بالطب منه على سبيل المثال: أسرة النيلي، وأسرة الإبريسمي، وأسرة ابن أبي صادق، وغيرها.

(٣) ومن أبرز أفراد هذا البيت الأمير أبو نصر أحمد بن علي بن إسماعيل، والذي حظي بمحبة أهل العلم، والتف حوله مشاهير عصره، وظل يفيض عليهم بالعطايا، وأبو الفضل عبيدالله بن أحمد بن علي (ت٤٣٦ هـ)، وكان من علماء عصره، ومن أشهر أعلام أسرته في الأدب، وكان له آثار طيبة في تشجيع الحركة العلمية، والحسين بن علي بن ميكائيل الذي كان له مكانة عند الغزنويين، ثم يذكر أنه تولى الوزارة عند طغرلبك (عبدالرحمن السنيدي: علاقات أعيان نيسابور بالسلاجقة، ص ٢٠٧؛ محمد الفاجالو: الحياة العلمية، ص ١٦٨)

أبو العلاء للسلطان محمود الغزنوي: "يعلم السلطان أن الأسرة الميكائيلية أسرة قديمة، وهم من خواص هذه المدينة، وآثارهم ظاهرة، وإني لأعترف بحقهم علي، فقد نشأت في ظل نعمتهم، وبلغت هذه المرتبة من العلم بعد فضل الله برعايتهم...."[١]

ولهذا عندما تعرضت هذه الأسرة للظلم والجور، كان لأبي العلاء جهود بارزة في إزالته عنهم، يقول البيهقي: "فأعيدت إلى آل ميكائيل أملاكهم، وأصبحت لهم المنزلة المرموقة"،[٢] وكون أبي العلاء له علاقة جيدة مع أبي الفضل عبيدالله بن أحمد، وأخيه، وأبي إبراهيم نصر بن أحمد،[٣] وظل أبناء الأسرة وأحفادها يحافظون على هذه العلاقة.

أما الأسرة التبانية،[٤] فهي من أبرز الأسر التي نافست الصاعديين في السلطة القضائية، ورئاسة المذهب الحنفي في نيسابور، فقد استفاد كل من الأسرتين من رعاية السلطة الغزنوية لهما، حيث شغل كل منها مناصب قضائية في معظم مدن خراسان، كما أوفد السلاطين منهم سفارات إلى

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص٣٨.

(٢) البيهقي: تاريخه، ص٣٩.

(٣) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨ .

(٤) أسرة التباني: تنسب الأسرة إلى الإمام أبي العباس التباني، ويقدم البيهقي معلومات جيدة عن الأسرة، ثم يعللٍ كثرة التعريف بهذه الأسرة وغيرها من أعيان نيسابور حيث يقول: " فإن أديت حقاً لأهل بلدتي في تعريف أسرة على هذا القدر من العظمة، فقد وجب أن يصفوا عنى"(البيهقي: تاريخه، ص٢١٢- ٢١٤)، ومن أبرز أعلامها الذين عاصروا الصاعديين أبو صالح التباني.

الدول لإبرام العهود والمواثيق،[1] إلا أن الصاعديين استطاعوا أن يتفوقوا عليها في العلم والمناصب، ويستمروا إلى فترة زمنية أطول.

كما تمكن الصاعديون من تكوين علاقات طيبة مع أسرة الناصحي،[2] حيث يعد الناصحيون من الأسر العلمية الحنفية في نيسابور، وظهر منهم عدد كبير من الأئمة والعلماء، وأبرز هؤلاء الأعلام القاضي أبو محمد عبدالله الناصحي الذي اشترك مع القاضي صاعد بن محمد في محاكمة رئيس فرقة الكرامية،[3] كما كان لعلماء الأسرتين جهود مشتركة في نشر المذهب الحنفي في المشرق الإسلامي.

أيضاً من الأسر النيسابورية التي كانت لها علاقة بالصاعديين الأسرة البسطامية،[4] وقد تزعمت هذه الأسرة المذهب الشافعي في نيسابور، ومن أبرز أعلامها هبه الله الموفق الذي أشرنا آنفاً إلى موقفه المخالف لموقف أبي

---

(١) البيهقي: تاريخه، ص٢٢٨ .

(٢) أسرة الناصحي: بيت علم ورئاسة، ولهم مدرسة تسمى باسم المدرسة الناصيحية في نيسابور، ومن أبرز أعلامها أبو محمد عبدالله بن الحسين الناصحي، وابنه أبو بكر محمد، إمام الحنفية في وقته، ولي قضاء القضاة بنيسابور في دولة ألب أرسلان، وبقي عشر سنين، ومات منصرفاً من الحج بقرب أصفهان عام ٤٨٤ه (الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٧٠؛ الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٢٨)

(٣) العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت٤٢٧هـ): تاريخ اليميني، تحقيق: إحسان ذنون وعبد اللطيف الثامري، بيروت، دار الطليعة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٣١٣/٢؛ العبادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص١٨٠

(٤) أسرة البسطامي: وهي أسرة علمية، انتهت إليها رئاسة المذهب الشافعي بخراسان، وتنسب إلى عميدها أبي جعفر محمد بن بسطام الأستوائي، ومن أبرز أعلامها هبة الله الموفق، وابنه أبو سهل محمد، وغيرهم (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٦/١٠)

العلاء صاعد بن محمد من تسليم نيسابور للسلاجقة، حيث أيد الموفق دخول السلاجقة،[1] وهذا ما جعله يحظى بمنزلة عالية عند السلاجقة بعد قيام دولتهم، فقد عين رئيساً للطائفة الدينية في خراسان، وبذلك خسر أبو العلاء مكانته كقائد للأحناف في دولة السلاجقة في هذا الإقليم وخاصة في نيسابور.[2]

ولما توفي الموفق عام ٤٤٠ هـ خلفه ابنه أبو سهل[3] في زعامة شافعية نيسابور، وكان له صلة بأعيان المدينة وعلمائها، حيث يجمع الفقهاء في داره، فحظي بشعبيه كبيرة، ولكن يبدوأ هذا جلب له سخط السلاجقة، فقاموا بتقريب الأسرة الصاعدية، حيث أصبح أحمد بن محمد (ت ٤٨٢ه) رئيس الرؤساء بالمدينة،[4] ويبدو لي أن السلاجقة بتقريبهم للأسرة الصاعدية أرادوا إيجاد توزان بين أنصار المذهب الشافعي الذي تمثله الأسرة البسطامية، والأحناف والذين يمثلهم الصاعديون.

والواقع أن مجمل علاقة الأسرة بالأسر النيسابورية علاقة طيبة تحمل في طياتها مزيداً من الاحترام المتبادل، وإن كان هناك بعض الخلافات، إلا أنها تظل منافسات علمية لاتصل لدرجة العداوة، لأن أبناء الأسرة كانوا

---

(١) البيهقي تاريخه ٦٠٢

(٢) تاريخ البيهقي، ص ٦٠٤ .

(٣) هو أبو سهل محمد بن هبة الله بن محمد البسطامي ثم النيسابوري، من سلالة الإمامة والرئاسة، انتهت إليه زعامة أصحاب الشافعي، وسمع بخراسان والعراق، توفي عام ٤٥٦ه ( الصريفني: المنتخب من كتاب السياق، ص ٧٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٦/١٠)

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٢٨٤/١٦؛ اليافعي: مرآة الجنان، ١٠١٠/٣.

حريصين أشد الحرص على التواصل الاجتماعي، مع كافة فئات المجتمع، والتآلف فيما بينها.

**أثرهم في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي:**

لقد قامت الأسرة بجهود إصلاحية مهمة في المجتمع النيسابوري من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، ونصرة المظلوم، والدفاع عن الحق، والاهتمام بمصالح المجتمع وشؤونه.

وتتمثل جهودهم في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع الخرساني عامة، والنيسابوري خاصة من خلال الإعداد الديني والثقافي للمجتمع، وذلك من خلال الدروس العلمية التي تلقى في المدارس والجوامع، أو حلقات الوعظ المنتشرة في الأماكن العامة، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن أنشطتهم العلمية.

يضاف إلى ذلك إنصافهم طبقة العامة، وخاصة الفقراء، وتقديم المساعدة لهم، فقد كان لأبي العلاء صاعد بن محمد دور في نقل تظلماتهم إلى السلطة الحاكمة، فعندما زار السلطان الغزنوي نيسابور عرض أبو العلاء عليه بعض مظالم أهل نيسابور،[1] كذلك عندما دخل السلطان طغرلبك نيسابور قال له أبو العلاء: " اخش الله عز ذكره، واعدل بين الناس، واستمع للمظلومين والمساكين، ولا تترك هذا الجيش يظلم، فإن

(١) البيهقي: تاريخه، ٣٨.

الظلم شؤم"،[1] كما كان لأبي الحسن إسماعيل بن صاعد بن محمد (ت٤٤٣ هـ) جهود في تقديم المساعدة للعامة.[2]

على الصعيد ذاته، عندما اضطربت أحوال بعض العامة في نيسابور، وازدادت سوءاً خلال مدة البحث، وأدت عقود من عدم الاستقرار السياسي والفوضى إلى تدهور أحول العامة الاقتصادية، وانتشار الجهل والأمية بينها، مع محاولة بعض الفرق اجتذاب عوام الناس، وإغرائهم بالعقائد المنحرفة، فقد كان لعلماء الأسرة جهود في مساعدة العامة، والتجاوب مع تظلماتهم، ومحاوله قضاء حوائجهم، وتصحيح عقائدهم.

**إسهامهم في الأعمال الخيرية:**

مما لاشك فيه أن أبناء الأسرة الصاعدية من العناصر الفاعلة في المجتمع، والتي لابد وأن يكون لها إسهامات اجتماعية، وذلك لأن العلماء عامة - وبني صاعد جزء من هؤلاء العلماء- كانوا سباقين للأعمال الخيرية، فهم من يوصي الناس بأهمية مثل هذه الأعمال.

وتتمثل هذه الأعمال الخيرية، في الأوقاف من خلال بناء المساجد والمدارس، أو في الصدقات، والتي تشمل تقديم المال والطعام والملابس، وغير ذلك، ومن أبرز أوقافهم وقف المدرسة الصاعدية، حيث كانت المدارس إلى جانب وظيفتها العلمية، تقدم خدمات اجتماعية أخرى،

---

(١) البيهقي: تاريخه، ٦٠٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠/ ٧٦؛ ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية، ١/ ١٥١؛ التقي الغزي: الطبقات السنية، ص ١٧٧

كالسكن للطلاب والعلماء والفقراء والمساكين، والصرف على المدرسين والفقهاء، وغيرها.

كذلك شاركت الأسرة في بناء الترب ـــ المقابر ـــ ووقفها، فكان لهم مقبرة في سكة الحظيرة في نيسابور،[1] ولكن رغم مايخصص لهذه الترب من جهات البر والصدقات لعمارتها وصيانتها والصرف على العاملين بها، إلا أن البناء على القبور بدعة، لم يفعلها السلف الصالح، وطريق إلى الشرك.

وأما الصدقات، فقد تسابق علماء الأسرة في إنفاق أموالهم في وجوه الخير والإحسان، والتخفيف عن الفقراء، ومساعدتهم، وتقديم مايحتاجون من المأكل والمشرب، ومن أبرز من اشتهر بأعمال البر والصدقة محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد (ت٥٢٧ هـ) ، والذي كان مكرماً للغرباء، متواضعاً للعامة،[2] مما جعله يحظى بمنزلة عظيمة عند الخواص والعوام.[3]

مهما يكن من أمر، فإن تتبع الصدقة عند أفراد الأسرة، ومحاولة استقصائها أمر يكاد أن يكون صعب المنال، وذلك أن الصدقة في ذاتها يرتجى منها الثواب من الله سبحانه وتعالى، والثواب يتناسب في قيمته

---

(١) السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٧٤٧ ؛ الصريفيني: المنتخب من كتاب السياق، ص ١١٨.

(٢) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/ ٧٤ ؛ السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ص ١٣٧٧

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ١٧/ ٢٨٠ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٥١

تناسباً عكسياً مع سرية الصدقة، فكما كانت الصدقة سرية وغير معروفة، كان ثوابها أعظم وأشمل.

**نهاية الأسرة :**

لقد استمرت ذرية أبي العلاء في الظهور، وبرز منها عدد من الأعلام والعلماء لمدة قرنين من الزمن، ولكن في نهاية القرن السادس الهجري بدأ ذكرهم يختفي تدريجياً من الساحة العلمية والسياسية، ثم في بداية السابع الهجري يذكر الذهبي أحد أفراد الأسرة وهو عبدالمعز بن محمد الصاعدي الذي توفي عام ٦١٨ هـ ، ولهذا يبقى السؤال : هل انقرضت أسرة آل صاعد بعد عبدالمعز ؟

في حقيقة الأمر إن القول بانقراض الأسرة، وانقطاع أعقابهم بالكلية يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات بقائهم يحتاج أيضاً إلى دليل، والمصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى انقراضهم، ولعله بقى منهم نسل، ولكن لم يكن من العلماء البارزين، بل من الرواة.

ويبدو أن انقطاع أخبار الأسرة، وقلة المعلومات عن أفرادها، خاصة بعد نهاية القرن السادس الهجري، يعود إلى الأسباب التالية :

١- الأوضاع السياسة التي مرت بها نيسابور، ففي عام ٥٤٨ هـ تعرضت نيسابور، وإقليم خراسان عامة لهجوم الغز،[1] الذين ألحقوا هزيمة بالسلاجقة، وأمعنوا في أهل نيسابور نهباً وتخريباً وقتلاً، حيث

(١) الغز تحريف للكلمة التركية أوغور، والموطن الأصلي لهذه القبائل في أقصى التركستان على حدود الصين (للمزيد انظر: يحي الوزنة: الدولة السلجوقية في عهد سنجر، ص١٨٣).

وصف ابن الأثير في تاريخه مافعله الغز بمدينة نيسابور في قوله: " فركب الغز، ودخلوا نيسابور ونهبوها، وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها".[1]

وقد تغيرت نيسابور خلال سنتين من سيطرة الأتراك الغز عليها، وتغيرت معالمها لدرجة أن أهلها لم يعرفوا أماكن سكناهم، وتلاشت مدارس العلم، وأحرقت خزائن الكتب، وأصبحت مراعي للأغنام، ومرتعاً للوحوش، وفقدت نيسابور ميزتها.[2]

٢- خروجهم من نيسابور مركز العلم والشهرة إلى بعض الأمصار الأخرى، مثل هراة التي توفي فيها عبدالمعز بن محمد الصاعدي.

٣- لم يظهر من الأسرة علماء وفقهاء وقضاة بارزون لهم مكانتهم في المجتمع النيسابوري خلال تلك الفترة، لأن الأسرة متى ما حافظت على إرثها العلمي استطاع أبناؤها البقاء لفترة أطول، ولعل أبناء الأسرة المتأخرين لم يكن لهم اهتمام بالعلم وروايته.

* * *

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٠٠؛ عبدالمنعم محمد: إيران والعراق، ص ١٣٥.

(٢) يحي الوزنة: الدولة السلجوقية في عهد سنجر ص١٨٩.

**نتائج البحث:**

وبعد الانتهاء من هذه الدراسة – بحمد الله - رأيت أن أختمها بذكر بعض النتائج المهمة التي يمكن إجمالها في النقاط التالية :

- تنسب الأسرة إلى أبي العلاء صاعد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الأستوائي النيسابوري، لذلك غلب اسم صاعد على بقية أفراد الأسرة، وأصبحت تسمى بأسرة الصاعدي، أو بيت الصاعدية، أو الصاعديون.

- تعود الأسرة في جذورها التاريخية إلى ناحية تسمى أستواء، وهي إحدى نواحي مدينة نيسابور التي تتبع إلى إقليم خراسان الذي يعد أهم مراكز العلم والتجارة والثقافة في المشرق الإسلامي.

- علا شأن الصاعديين، وذاع صيتهم بنيسابور في الفترة الواقعة بين مستهل القرن الخامس وأواخر القرن السادس الهجريين، حيث تلاشى ذكرهم بعد ذلك.

- بلغ عدد الصاعديين الذين عرفوا من خلال كتب التاريخ والتراجم (٢٣) شخصية علمية، أول من اشتهر منهم الإمام صاعد بن محمد، وأعظمهم منزلة محمد بن أحمد بن محمد، وإسماعيل بن صاعد بن منصور، وآخر من عرف منهم عبدالعز بن محمد الصاعدي.

- إن نبوغ الأسرة لم يحصل بين ليلة وضحاها، بل ظل في تدرج، وخلال سنوات عديدة، حتى وصلت الأسرة إلى ما وصلت إليه من شهرة، ومنزلة اجتماعية مرموقة، وقد كان التقرب من الحكام وأصحاب

النفوذ، والعمل في مناصب الدولة من اهم وسائل النبوغ والظهور على مسرح الأحداث.

- شارك أعلام الأسرة في الحياة السياسية، حيث عاصروا مجموعة من سلاطين الغزنويين والسلاجقة، وكونوا علاقة متباينة مع هؤلاء السلاطين، بالإضافة لعلاقتهم مع الخلفاء العباسيين.

- تبين لنا من الدراسة المواقف المشرفة لعلماء الأسرة في الوقوف في وجه الحركات الفكرية المنحرفة، حيث حاربوا أهل البدع بشتى الوسائل، وأبرز من تصدوا له فرقة الكرامية، حيث ناقشوهم وردوا عليهم وفضحوهم.

- شارك غالب أعلام الأسرة في إدارة شؤون الدولة في عدد من الوظائف، سواء الدينية أو الإدارية، فكان لهم الأثر الفاعل في المجتمع النيسابوري، ومن أبرز الوظائف التي اشتغلوا بها: القضاء، والإمامة، والفتوى، والخطابة، والوعظ، والتأديب، والرئاسة، والسفارة.

- استحوذت الأسرة على المؤسسة القضائية مدة الدراسة، حيث تقلد مجموعة كبيرة من أفرادها القضاء في نيسابور وغيرها، كما توصل بعض قضاتها إلى أعلى منصب قضائي في الدولة، وهو منصب قاضي القضاة.

- كان للصاعديين أخبار كثيرة في الحرص على طلب العلم، والجد في تحصيله منذ الصغر، وتلقي العلوم من آبائهم، وعلماء عصرهم البارزين، والتنوع في طلب العلوم المختلفة، واقتناء المصنفات العلمية،

وإن كان اهتمامهم بالعلوم الشرعية والعربية أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى.

- تنوعت رحلات علماء الصاعديين في البلاد الإسلامية، فشملت الحجاز، والعراق والمشرق الإسلامي، بينما بلاد الشام ومصر والمغرب الإسلامي لا نجد لهم رحلة لهذه البلاد، ولعل ذلك بسب الاختلاف الفقهي.

- أسهمت أسرة آل صاعد في إثراء الحياة العلمية في نيسابور، من خلال المجالس العلمية التي تعقد في الجوامع، ومجالس الحكام، والمدارس، ومنازل العلماء إلى جانب حلقات الاملاء والوعظ والتذكير.

- تعد المدرسة الصاعدية من أشهر المدارس في نيسابور، وقد أسهمت في إنعاش الحركة العلمية، وتخرج منها نخبة من كبار العلماء الحنفيين.

- يعد التميز العلمي عند أبناء الأسرة تراثاً تناقله الأبناء عن الآباء والأجداد، حيث حرص أولياء الأسرة على نقل المعارف إلى أبنائهم، ليحلوا محلهم في زعامة الأسرة، وتولي المناصب بعدهم، والقيام بأدوار أخرى مهمة في المجتمع، والحفاظ على المكانة في وجه المنافسين من الأسر النيسابورية الأخرى.

- قام الصاعديون بجهود بارزة في نشر مذهبهم الفقهي، وهو المذهب الحنفي، وبرز منهم أعلام بارزون يعدون من كبار هذا المذهب، كما تولى عدد منهم رئاسة المذهب في نيسابور، ولاشك أن اعتناق الغزنويين ثم

السلاجقة هذا المذهب، كان أحد أهم الأسباب لارتفاع مكانة الأحناف، وتقليدهم مناصب قضائية مهمة.

- ساهم أعلام الأسرة في بناء المجتمع وإصلاحه، كونهم شريحة اجتماعية تعيش وسط المجتمع، ولأن صلاح المجتمع من صلاح علمائه، حيث لم يقتصر أثرهم على العملية التعليمية فقط، بل تعداه إلى أبعد من ذلك، فقد قاموا بدور مهم في المجتمع البغدادي من خلال الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، ونصرة المظلوم.

- إن هذه الدراسة من الدراسات الحديثة التي تهتم بالتاريخ النخبوي، بخلاف العديد من الدراسات التي اتبعت أسلوب التاريخ الفردي الذي يركز على الفرد وجهوده، دون أن تبرز الطابع الجماعي للنخبة والأمة في المجتمع.

- كان للأسرة أثر بعيد في نشر العلوم العربية الإسلامية والآداب، وقد أهلها ذلك للمحافظة على توازن المجتمع ومكوناته، فكان لها الأمر والنهي في مسائل الشرع والتدريس والإفتاء والقضاء، ومن ثم كانت محوراً مهما في المجتمع النيسابوري.

هذا أهم ما توصلنا إليه من نتائج خلال هذه الدراسة ناهيك عن نتائج أخرى وردت في ثنايا البحث التي لا أدعي فيها الكمال في إيفائها، فالكمال لله وحده، وإنما هي جهد المقل، ومازال الطريق مفتوحاً أمام الدارسين.

* * *

**أبرز أعلام الصاعديون في نيسابور:**

| م | الاسم | كنيته | وفاته |
|---|---|---|---|
| ١ | صاعد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد | أبو العلاء | ٤٣٢هـ |
| ٢ | إسماعيل بن صاعد بن محمد بن أحمد | أبو الحسن | ٤٤٣هـ |
| ٣ | منصور بن إسمعيل بن صاعد بن محمد | أبو القاسم | ٤٧٠هـ |
| ٤ | صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد | أبو العلاء | ٥٠٦هـ |
| ٥ | إسماعيل بن صاعد بن منصور بن إسماعيل | أبو الحسن | ٥٢٦ |
| ٦ | أسعد بن صاعد بن منصور بن إسماعيل | أبو المعالي | ٥٢٧هـ |
| ٧ | عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل بن أحمد | أبو روح | ٦١٨هـ |
| ٨ | الحسن بن إسماعيل بن صاعد بن محمد | أبو علي | ٤٧٢هـ |
| ٩ | علي بن الحسن بن إسماعيل بن صاعد | أبو بكر | ٥٠٨هـ |
| ١٠ | الحسين بن الحسن بن إسماعيل بن محمد | أبو الفضل | ٥١١هـ |
| ١١ | صاعد بن الحسين بن الحسن بن إسماعيل | أبو العلاء | ٥٣٢هـ |
| ١٢ | الحسن بن الحسين بن الحسن بن إسماعيل | أبو علي | - |
| ١٣ | إسماعيل بن الحسن بن الحسين بن الحسن | أبو الحسن | - |
| ١٤ | محمد بن صاعد بن محمد بن أحمد | أبو سعيد | ٤٣٣هـ |
| ١٥ | يحيى بن محمد بن صاعد بن محمد | أبو سعد | ٤٦٠هـ |
| ١٦ | أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد | أبو نصر | ٤٨٢هـ |
| ١٧ | محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد | أبو سعيد | ٥٢٧هـ |
| ١٨ | منصور بن محمد بن أحمد بن محمد | أبو القاسم | ٥٥٢هـ |
| ١٩ | علي بن منصور بن محمد بن أحمد | - | ٥٥٤هـ |
| ٢٠ | عزيز بن محمد بن أحمد بن صاعد | أبو المفاخر | ٥٥١هـ |
| ٢١ | عبيد الله بن صاعد بن محمد | أبو محمد | ٤٨٦هـ |
| ٢٢ | عبد الملك بن عبيد الله بن صاعد | أبو الفتح | ٥٠١هـ |
| ٢٣ | يحيى بن عبد الملك بن عبد الله | أبو سعد | - |

- مشجرة الصاعديون في نيسابور:

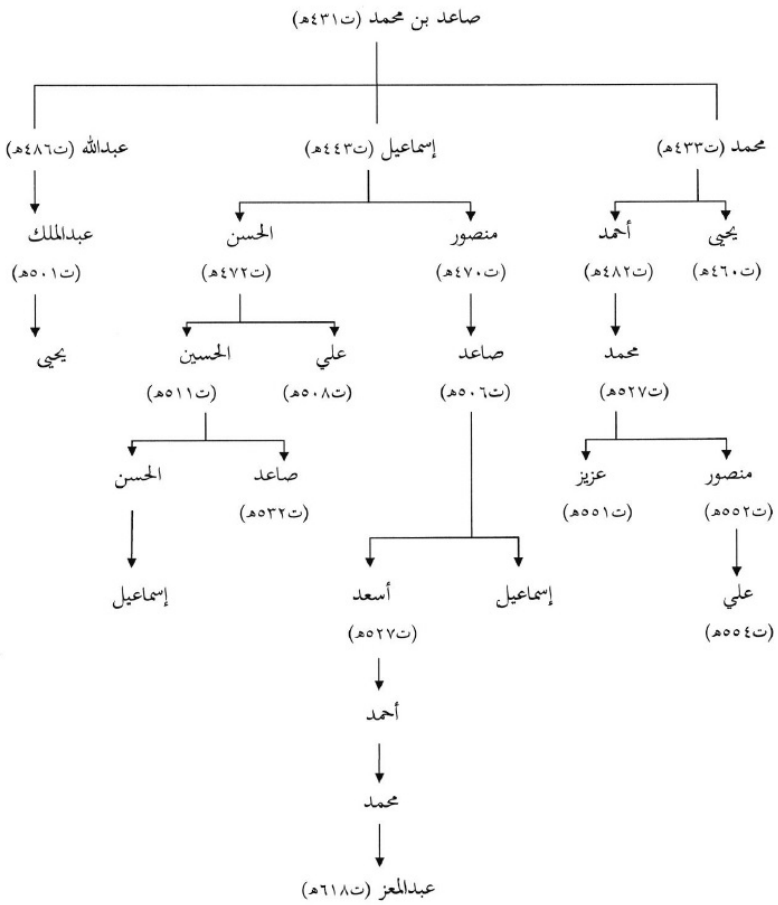


* * *

**مصادر البحث ومراجعه :**


- أبو يعلى بن الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ)
- الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن محمد القرشي (ت٧٧٥هـ)
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي، مير محمد كتب خانه، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م.
- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ)
- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دمشق، دار بن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- ابن الملقن: سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)
- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٢م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)

- مقدمه ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م

- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، د.ت، ١٢٨/٢

- ابن فندق: أبو الحسن علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ)

- تاريخ بيهق، ترجمة: يوسف الهادي، دمشق، دار اقرأ، ١٤٢٥هـ/٢٠١٥م

- ابن قطلوبغا: أبو الفداء قاسم بن قطلوبغا الجمالي الحنفي(ت ٨٧٩هـ)

- تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان، دمشق، دار القلم ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ)

- البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)

- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

- البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)

- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- البيهقي: ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت٤٧٠ه)

- تاريخ البيهقي، ترجمه للعربية: يحيى الخشاب، صادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

- التقي الغزي: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت ١٠١٠هـ)

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، الرياض، دار الرفاعي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)

- تاريخ نيسابور، تحقيق: بهمن كريمي ، طهران، كتابخانه ابن سيناء ، ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)

- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٠هـ)

- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تحقيق: ابراهيم أمين وغيره، دمشق ، دار القلم ، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م

- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ)

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي(ت٥٦٢هـ)

- الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- الصريفيني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الحنبلي (ت٦٤١هـ)

- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دمشق، دار الفكر ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)

- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت٤٢٧هـ)

- تاريخ اليميني، تحقيق: إحسان ذنون عبد اللطيف الشامري، بيروت، دار الطليعة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)

- فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦ هـ)

- معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

**مراجع**

- أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية (١٢٣– ٢٣٢هـ)، الرياض، دار القلم والكتاب، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م

- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- عبدالرحمن علي السنيدي: علاقات أعيان نيسابور بالسلاجقة في عهد السلطان طغرلبك، الرياض، مجلة الجمعية التاريخية، العدد الثالث، السنة الثانية ١٤٢١ هـ /٢٠٠١م.
- عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في الشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، جدة، عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- محمد حسن العبادي: خراسان في العصر الغزنوي، الاردن، مؤسسة حمادة للدراسات ١٤٣٣ هـ /٢٠١٣م
- محمود بن عبد الفتاح النحال: إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ ، الرياض، دار الميمان للنشر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م
- محمد الفاجالو: الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة ٢٩٠- ٥٤٨ هـ مكة المكرمة، جامعة أم القرى ١٤٣١ هـ /٢٠١٠م
- نايف بن صلاح المنصوري: السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي، الرياض، دار العاصمة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.


* * *

Thamiri, Beirut, Dar Tali'ah, 1424 AH / 2004

• Kutbi, Mohammed ibn Shaker bin Ahmed (764 e)

- Fatality of Deaths, Investigation: Ali Mohamed Yawad, Allah and Adel Ahmed Abdul-Muqeem, Beirut, Dar al-Kitab al-Ulmiyya, (

• Yafei, Abu Mohammed Abdullah bin Asaad bin Ali (768 e)

- Mirror of the Jinan and the Euphrates, Cairo, Dar al-Kitab al-Islami, 1413 AH / 1993.

• Yacout, Abu Abdullah Yacout ibn Abdullah al-Roumi al-Hamawi (v 626 e)

- Lexicon of Countries, Beirut, Dar El Fikr, (DT).

* * *

- Governor Naisaburi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah (405 e)

  - History of Nisapur, investigation: Bahman Karimi, Tehran, Katabkhana Ibn Sina, 1339 AH, 1920 AD

- Sabki, Taj al-Din bin Ali bin Abdul-Kafi (v 771 e)

  - The layers of the great Shafei, investigation: Mahmoud Mohammed Al-Tannahi and Abdel-Fattah Mohamed El-Helou, 2, Cairo, Hajar for printing and publishing, 1413 H / 1992.

- As-Samani, Abu Saad Abdul Karim bin Mohammed Al-Tamimi (562 e)

  - Genealogy, investigation: Abdullah Omar Baroudi, Beirut, Dar al-Fikr, 1418 AH / 1997 AD.

  - Investigation into the large lexicon, investigation: Munira Naji Salem, Baghdad, Presidency of the Endowment Bureau, 1395 AH / 1975.

  - - Selection of the dictionary of the elders of the Sudani, study and investigation: Mowaffak bin Abdullah, Riyadh, Dar books world, 1417 AH / 1996.

- Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman bin Abi Bakr (T 911H)

  - In order to be educated in the layers of linguists and grammarians, the investigation: Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Lebanon, the modern library, 1384 H / 1964

- Al-Atbi, Abu Nasr Mohammed bin Abdul-Jabbar al-Atbi (v 427 e)

  - History of the right-wing, investigation: Ihsan Zanoun Abdellatif

• Ibn al-Malqun: Sirajuddin Omar ibn Ali al-Shafi'i al-Masri (d. 804 e)

- The Doctrine Contract in the Layers of the Doctrine Campaign, by Ayman Nasr Al-Azhari, Syed Mahani, Beirut, Dar Al-Kut Al-Slami, 1417H (1997).

• Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Mohammed al-Hadrami (T 808 e)

- Introduction Ibn Khaldun, Beirut, Dar Al-Qalam, 1405 AH / 1984 AD

• Ibn Khalkan, Abu Abbas Ahmed bin Mohammed (d. 681 e)

- Deaths of dignitaries and news of children of time, investigation: Ihsan Abbas, Lebanon, House of Culture,

• The son of a hotel: Abu Hassan Ali bin Zaid al-Bayhaqi (T 565 e)

- History of Bihak, translation: Youssef Hadi, Damascus, Dar Ikra, 1425 H / 2015

• Al-Bayhaqi: Abu al-Fadl Mohammed bin Hussein al-Bayhaqi (470 e)

- History of Bayhaqi, translated into Arabic: Yahya al-Khashab, Sadiq Nashat, Beirut, Dar al-Nahda Arab 1402 AH / 1982

• Taqi al-Ghazi: Taqi al-Din ibn 'Abd al-Qadir al-Tamimi al-Ghazi (1010 e)

- The dental classes in the translations of the faucet, investigation: Abdelfattah al-Hilu, Riyadh, Dar Al-Refai 1403 AH / 1983.

Research sources and references:


- Abu Ya`li ibn al-Fur, Muhammad ibn al-Husayn ibn Muhammad ibn Khalaf (d. 458 AH)*Rulings of the Sultan*, Mohammed Hamid al-Fiki, Ed, Beirut, Dar al-Kutub al-`ilmiya, 1421 AH / 2000 AD
- Ibn Abi Al-Wafa, Abdul Qadir bin Mohammed Al-Qurashi (d. 775 e)
  - Gems in the layers of the tap, Karachi, Mir Mohammed Kaneh, 1322 AH / 1904 AD.
- Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Mohammed bin Abdul-Karim al-Shaibani (630 AH)
  - Full in history, investigation: Abdullah al-Qadi, Beirut, Dar al-Kuttab al-Ulami, 1415 AH / 1994
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali (d. 597 e)
  - Regular History of Kings and Nations, Beirut, Dar Sader, 1358 AH / 1939.
- Ibn al-Amad, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad al-Hanbali (d. 1089)
  - Nuggets of gold in the news of gold, investigation: Abdul Qadir Arnaout, Mahmoud Arnaout, Damascus, Dar bin Katheer, 1406 AH / 1985.

**Arabic References**


- Amina Al-Bitar (1998). *Studies in the history of the Abbasid caliphate* (123- 232 e), Riyadh, Dar Al-Qalam and Writers, 1418 AH / 1998.
- Hassan Al-Basha(1966). *Islamic Arts and functions on Arab antiquities*, Beirut, Dar al-Nahda al-Arabia, 1386 AH / 1966
- Khair al-Din al-Zarkali (2002). *Flags, dictionary of translations of the most famous Arab and Middle Eastern men and women*, Beirut, Dar El-`ilm lil malayeen, 2002.
- Abdulrahman Ali Al-Sunaidi (2001). *Relations of Aishan Nishapur in the Seljuks during the reign of Sultan Tagerbeck*, Riyadh, Journal of the Historical Society, No. 3, second year 1421 AH / 2001.
- Abdul Majid Abul-Fotouh Badawi (1983). *The Political and intellectual history of Sunni Islam in the Islamic east from the fifth Century AH until the fall of Baghdad*, Jeddah, Knowledge World, 1403 AH / 1983.
- Mohammed Hassan Abadi (2013). *Khorasan in the era of Ghaznawi*, Jordan, Hamada Foundation for studies 1433 H / 2013 m
- Mahmoud bin Abdul-Fattah Al-Nahhal (2008). *Iftaf Almtarki translation of Sheikhs*, Riyadh, Dar Al-Maiman Publishing, 1429 H / 2008
- Mohammed Al-Fajalu (2010). *Scientific life in Nisapur during the period 290-548* Mecca, Umm Al-Qura University 1431 H / 2010
- Nayef bin Salah al-Mansouri (2011). *Pure salsabil in the translations of the sheikhs of Al-Bayhaqi*, Riyadh, Dar Al-Asmaa 1432H / 2011.

# Al- Saadiqun and their Political and Cultural Influence in Nisapour During the Fifth and Sixth Centuries AH

**Dr. Badr bin Tha'ar Al Harbi**
College of Social Science
Department of History and Civilization
Imam Muhammad, Ibn Saud Islamic University

**Abstract:**

This research paper highlights the history and activity of one and of the prestigious scientific family in Islamic Orient in public life in Khorasan. This is the family of Al Sa'id who took Nisapour as its home and the source for learning for its members who were educated by prominent scholars there. The family became the cornerstone in the academic life of Khorasan in general and Nisapour in particular, admired and sought after by students and scholars from various places. They rose up and earned the trust of Ghazawies and Seljokies Sultans who employed them as envoys to Kings and princes of other countries and appointed them judges in their state, assisting in fortifying, educating and raising the awareness of society, and responding to stray ideas.

Therefore, the Al Sa'id family is a highly esteemed one, whose members inherited learning from elders for two centuries, as they emerged in the fifth century continued to contribute to learning until the end of the sixth century of Hijra.

The nature of this research has required that it is divided into an introduction, five topics and a conclusion. The first topic deals with the lineage of the family and its prominent figures and the factors lying behind its ingenuity. The second topic discusses the family's participation in political life, while the third topic touches on its role in running the affairs of the state. The forth topic deals with the family's influence and the fifth tackles its role in social life.

Keywords: Sa'id - Nisapour – Sa'idiyoun - Ghaznawis – Seljoks